الفصل الخامس

مباحث في التربية الإسلامية

*** الغزو الثقافي للمجتمع الاسلامى ، وموقف التربية الاسلامية ازاءه :**

لعله بات من المسلم به فى عالم اليوم . تكالب قوى متعددة الأهداف والاتجاهات فى الشرق والغرب . تريد النيل من المسلمين . وبالتالى الحاق الضرر بالاسلام . والشواهد والمرائى تتواتر على تواجد الآلاف من الجمعيات التى تعمل ضد الاسلام . من أجل النيل منه والقضاء بمعتنقيه .

ولعل السؤال الملح الذى يحتاج الى اجابة واضحة هو :

ما سبب تلك الفجوة الخطيرة بين الاسلام كدين له مقومات — تضمن لو أحسن تطبيقها — السعادة للأفراد والجماعات . وبين السلوك الذى يمارسه المسلمون . وتبدو فيه مظاهر البعد بنسب متفاوتة عن تطبيق منهج الاسلام الصحيح ؟ أو بمعنى آخر :

لماذا لا يوجد أثر قوى لما ينادى به المصلحون ورجال الدعوة والفكر . بالرغم من الكثرة الكثيرة فى الأفراد والمؤسسات التى نيطت بها هذه المهمة ؟

ولعلنا لا نجانب الصواب حين نؤكد أن التربية بما لها من رصيد ضخم وهائل فى تنمية قدرات الأفراد فى جميع المجالات قادرة — لو أحسن التخطيط لها — على احداث التناسق بين الفرد وبين عقيدته وبين الفرد ومجتمعه . وبالتالى يمكن أن ينتظم المجتمع . بل ويتوقع أن تختفى منه — فى الغالب — فجوة الخلخلة بين الفكر والعمل والنظر والتطبيق كما هو مشاهد فى مجتمعنا الاسلامى اليوم .

ولكن وقبل أن تقوم التربية بهذا الدور . لابد من كشف النقاب

عن هذا الغزو الثقافى . لمعرفة طبيعته وأساليبه ومدى تأثيره فى المجتمع الاسلامى .

وحتى نقف على ذلك . فان هناك صعوبات تبدو فى الأفق . وذلك نظرا لتعدد أطراف المشتركين فى ممارسة هذا الغزو ؛ وتنوع الأساليب المستخدمة . سواء على مستوى الأفراد أو المؤسسات . فهم يستخدمون أساليب ملتوية . ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . ولا يمكن للفرد العادى أن يكتشف مضمون ومحتوى تلك الأساليب ناهيك عن جذب قطاع كبير من المثقفين ــ خصوصا من درسوا فى معاهد التعليم بتلك البلاد ــ الى تلك الاتجاهات بل والدفاع عنها أحيانا .

وقد يصل الأمر الى العمل خفية . سواء على مستوى الفرد أو الجماعة . لبث هذا الفكر الثقافى الوافد ؛ والغريب عن البيئة الاسلامية .

ومما يزيد فى ضخامة هذه المشكلة ؛ أن بعض المؤيدين للفكر الوافد ؛ قد يتذرعون بمبادىء تبدو كمسلمات فى كثير من الأحيان .

ومن تلك المبادىء :

١ ــ أن التبادل الثقافى أمر مطلوب ؛ وأن الاسلام لم يحجر على الفكر . بل أطلق للانسان الحرية فى التزود من الثقافة أينما وجدت وحيثما حلت . وفات هؤلاء أن الاسلام يبيح ذلك ؛ طالما تم تحت رغبتنا وباختيارنا . وجاء متمشيا مع الاسلام ومتضمنا لقيمه ومبادئه .

٢ ــ أن الغزو الثقافى يتم فى ظل فكر غريب عن البيئة الاسلامية والمجتمع الاسلامى . وهذا الغزو فى حقيقته صدى لآراء مفكرين غير مسلمين . يحاولون فرض هذا الفكر على المجتمع الاسلامى . أو بمعنى آخر يحاولون فرض ذلك من جانب واحد على الانسان العربى المسلم وعلى المجتمع المسلم .

هذا ولم تسلم المؤسسات التربوية والتعليمية . من هذا الغزو ؛ بل جاءت على رأس الركائز التى كرست لها تلك الحملات كل جهدها ، ذلك أنها تدرك تماما أن بذر تلك السموم بين البراعم الغضة أمر له أهميته فى تطعيم هذا الجيل بفكر ملوث ؛ يهدف الى بلبلة فى الفكر ؛ وذبذبة للفرد ؛ فى سبيل قلة ثقته فى معتقداته ومقدراته الثقافية والحضارية .

ومن هنا تقع على التربية مسئولية خطيرة فى مواجهة هذا الغزو الثقافى وتلك الحملة المسعورة الموجهة ضد المجتمع الاسلامى . والتى تدعى — ضمن ما تدعى — أن الاسلام دين تواكل . وأنه لا يواكب الحياة المعاصرة . الأمر الذى يثير الشبه حول الاسلام . ويشيع أفكارا مسمومة بالكذب والبهتان .

ناهيك عن تأثير تلك الحملة فى احداث التفرقة بين الدول الاسلامية بترويج النزعة العرقية . وتغذى الروح المذهبية . وتمزق الشخصية الاسلامية .

والواقع أن الاسلام دين له مقومات تتمشى مع الطبيعة الانسانية ، ولا تتعارض معها . وهو دين يوائم بين صالح الفرد فى دنياه وأخراه . كما يتيح للفرد أن يعمل فى الدنيا ويجتهد على أن يكون ذلك من أجل الآخرة . قال تعالى : « **وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد فى الأرض ، ان الله لا يحب المفسدين** »[1] .

والثقافة الاسلامية والتراث الاسلامى غنى ومملوء بالكثير مما يعد أصلا صحيحا ومصدرا قويا لبناء الشخصية المسلمة . وكلما كشف هذا التراث واتضحت معالمه . وأصبح حيا فى ضمير الأفراد كلما استطاع الأفراد أن يتوافقوا مع حياتهم المعيشية .

ولا شك أن الفرد — أى فرد — تتناسب قدرته على المعيشة الناجحة فى جماعته مع القدر الذى يحصله من ثقافته . والسبب فى هذا أن الجماعة ليست فى حقيقتها — عندما ننظر اليها بمنظار التربية — ليست الأفراد الذين يكونونها . وليست الأجيال المتعاقبة عن هؤلاء الأفراد . وانما تكمن حقيقة الجماعة فى الثقافة التى تتوارثها الأجيال المتعاقبة .

ومن هنا فالأفراد يذوبون فى كل جماعة . وتبقى الثقافة . فهى لا تذوب أبدا لأنها واجهة الجماعة ومرآتها . لذلك فان من وظائف التربية أنها تعد الجماعة ، بنشر ثقافتها بين الأفراد . فهى تربط الفرد بالجماعة . وتمكنه من أن يتقن ثقافة هذه الجماعة ويتصرف فى مواقف حياة هذه الجماعة وفقا للقيم والمثل العليا التى تعتنقها تلك الجماعة .

---

(١) القصص : ٧٧

واذا كانت التربية تولى وجهها شطر الجماعة . فانها بلا شك تنصب أيضا على الثقافة . فالتربية تهدف الى اكساب الثقافة ، وليس لها من معيار للحكم على نجاحها سوى قدرتها على تملك تلك الثقافة للأفراد ، وليس للتربية من وسيلة سوى أن تجعل الثقافة مادة لنشاطها .

من هذا المنطلق وفى تلك المعايير ، استهدف الغزو الثقافى المجتمع الاسلامى . حين جعل ثقافته مادة يدور حولها نشاطه الفكرى والاعلامى والتربوى بغرض التشكيك فى صلاحية المنهج الاسلامى كنموذج صالح للمجتمع ، فركز على نشر ثقافته الوافدة عبر الاعلام الهادف ، كما استقطب البعض من المثقفين المسلمين ، واستخدمه كعوامل للهدم ، واستغل كذلك عناصر الضعف المادية ، كسلاح لجذب الكثير لاعتناق الفكر الوافد ، كما لم يتورع فى بث فكره ضمن مناهج التعليم فى البلاد الاسلامية .

والغزو الثقافى للمجتمع الاسلامى ينشد من وراء تلك الحملة اهمال الشريعة الاسلامية فى أكثر بلاد الاسلام ، والاكتفاء بها كاطار نظرى دون تطبيق عملى لمقوماتها . كما يهدف هذا الغزو الى مسخ الشخصية الاسلامية فى أكثر بلاد الاسلام ، كما لم يتورع فى اثارة العصبية والعرقية بين شعوب الاسلام . وأيضا شيوع وانتشار المذاهب المناهضة للدين ، كما يهدف كذلك الى توزيع ولاء الأمة الاسلامية لأى من القوى الكبرى فى العالم .

وليس هناك من وسيلة قوية ، لاعتناق الفكر الثقافى الوافد ، أكثر تأثيرا فى الأفراد من بث هذه الثقافة فى شكل خدمات محسوسة ، يلمسها الأفراد وتشعر بها الجماعات ، لذلك كثرت الارساليات فى أشكالها المختلفة والمتعددة ، مثل المدارس والمستشفيات ، ودور رعاية الأطفال الفقراء ، ومراكز ثقافية متعددة ، ناهيك عن غزو الأسواق بوسائل متعددة خاصة باستقطاب المرأة .

ونظرة فاحصة فى فكرنا الاسلامى ترينا أن الاسلام قادر بمقوماته الأصيلة ، ومصادره الصحيحة الواضحة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وفى الاجماع والاجتهاد ، أقول ان الاسلام قادر بتلك المقومات أن يبنى الفرد المسلم والمجتمع المسلم .

وحين يهتم الاسلام بتربية الفرد المسلم ، فانه يقيم تلك التربية بما يتيحه للفرد من نصوص فى العقيدة ومن هدى للنبى صلى الله عليه

وسلم ومن خبرات تحيط به ؛ يكتسب من خلالها مواقف فى الحياة تهديه الى أقوم السبل . وتساعده على هضم ثقافته الاسلامية . لأن الفرد لا يستطيع أن ينمو نموا حقيقيا . الا اذا استطاع أن يواجه بيئته الطبيعية والاجتماعية وأن يتفاعل معهما فى ظل تلك الثقافة الاسلامية التى اهتدى اليها .

والفرد المسلم يستفيد من الخبرات التى تواجهه فى مواقف الحياة اليومية على الأرض وبين الناس . لأن الثقافة لأية جماعة ما هى الا خبرات تراكمية .

وعموما فان تربية الفرد وتحقيق نموه لن يكون الا بأدوات الثقافة التى تقرها وتعترف بها عقيدة تلك الجماعة .

ومن هنا فالتربية الاسلامية تتحمل مسئولية تمكين الانسان المسلم من ثقافة اسلامية صحيحة . لأن الفرد المسلم اذا تعرض لتربية لم تعطه كل ثقافة مجتمعه . أو أعطته صورة خاطئة من هذه الثقافة . أو تعرض لأن يتربى وينمو بوسيلة ثقافية لجماعة أخرى . فان ذلك ينعكس على الفرد وعلى الجماعة وعلى التربية فى المقام الأول .

وحينئذ فالفرد لا يتمكن من مواكبة المعيشة فى حياته . بالقدر الذى انحرفت به مدة التربية عن مادة ثقافة مجتمعه . فحيثما نظرنا الى التربية من ناحية الفرد أو من ناحية الجماعة ؛ فاننا نجد الصلة المباشرة القوية بين التربية وبين الثقافة .

وكشف هذه الصلة ؛ وايضاح مفاهيم الثقافة ؛ هو بلا شك من الوسائل المعينة على مواجهة الغزو الثقافى للمجتمع الاسلامى .

وحتى يبرز هذا الايضاح ؛ فلا بد من قيام المؤسسات التربوية بأداء دورها فى هذ المجال .

ولا شك أن الأسرة والمدرسة ووسائل الاعلام كلها مؤسسات لها قدرتها فى بث الفكر الاسلامى والثقافة الاسلامية فى نفوس المجتمعات الاسلامية .

* * *

الأسرة المسلمة .. ودورها التربوى
فى مواجهة الغزو الثقـافى

تعد الأسرة المسلمة اللبنة الأولى فى تربية الفرد المسلم . فالطفل يفتح عينيه على الأسرة منذ اللحظة الأولى لميلاده . وتاثيرها عليه يلعب دورا كبيرا فى توجيهه وتكوينه . وبالقدر الذى تقدمه الاسرة للطفل من مميزات تربوية بقدر ما يتكون ويواجه المجتمع .

ولا شك ان استعداد الأبوين لبذل الجهـد التربوى . واضفاء القدر المناسب لتنمية الطفل له أبلغ الأثر فى تشكيله وتنميته . فالأب والأم هما حجر الزاوية . الذى عليه يمكن ان نشـيد صرح التربيه الأسرية بالمنهج الصحيح . بمعنى أن الطفل من صنع والديه . ونبت تربيتهما . واذا أحسن الغرس . حسن الثمر . وكانت النتيجة فردا صحيحا نفسيا وخلقيا واجتماعيا وروحيا وجماليا .. الخ . قال تعالى : **« والبـلد الطيب يخرج نبـاته باذن ربه ، والذى خبث لا يخـرج الا نكدا »**[1] .

ولا ننكر أن دور الأسرة ، يواجه بكثير من التيارات التى تعرقل السير فى المنهج الصحيح للتربية الاسـلامية ، يبدو ذلك فى اقتحام أجهزة الاعلام من مكتوبة ومسموعة ومرئية للطفل . مما يشككه فى كثير من القيم التى ترسخت لديه . وتكونت عنده . الأمر الذى يجعله يتذبذب بين قيم وتقاليد استقاها من الأسرة . وبين ثقافة جديدة . اقتحمت عليه فكره وعقله لا يحسن أى الطرق يسلك . ولا أى المناهج يعتنـق .

من هنا بدت المسئولية الملقاة على عاتق الأسرة . وغدا الطفل فى أمس الحاجة الى وضوح فى الرؤيا . وتحديد لمعالم الطريق . حتى يتخلص من هذا الغزو الفكرى المشبوه ، والملوث بالتيارات الهدامة ، والفكر المختلط .

---

(١) الأعراف : ٥٨

وحتى تحسن الأسرة مقاومة التيارات ، فان عليها أن تعيد النظر فى أساليبها التربوية ، وتتعرف على حاجيات الطفل النفسية والاجتماعية . فلا تترك الفكر الملوث ينخر فى قلبه وعقله . بل عليها ن توفق بين قيمها الدينية وأساليب التنشئه الحديثه . بحيث لا يقع الطفل بين شقى الرحى ويتوه فى الطريق . ويتبعثر جهد الاسرة . ويصبح المستقبل للطفل رهنا للمصادفات والأهواء .

واذا كانت الأسرة يتحتم عليها دائما وأبدا أن تضع مقـومات تصون بها الصفل من الوقوع فريسة لتيـارات هدامة . اذا كان ذلك واجبا . فانه يصبح وجب اذا بث وشيكا توحيه البرامج التليفزيونية مباشرة من البلاد المتقدمة الى شتى أنحاء العالم . ويغدو الطفل هدفا لتلك البرامج خصوصا اذا لم تكن هناك معاناة فى الاستقبال والمشاهدة سوى فتح الأجهزة لأى بث موجه من أية دولة شرقية كانت أم غربية . ووقتها يكون لتليفزيون — مثل أجهزة الراديو — ينقل الفكر . ويغزو العقول فى كل أرض وفى كل مكان وفى كل منزل[٢] .

حينئذ سيواجه الآباء بمشاكل لا أول لها ولا آخر . ويصبحون غير قادرين على مواجهة تلك المشاكل أو الحد منها .

ويكمن خطر الغزو الثقافى على أطفالنا فى الأمور التالية :

١ — التعرض اللامحدود لهذا الغزو بالكلمة المكتوبة ، والآراء المسموعة ، والفكرة المصورة ، والتقاليد الفاضحة الممقوتة ، وذلك أن كثيرا من الروايات المسمومة تملأ الأسواق العالمية وتتسلل خفية فى الظلام الى مجتمعاتنا الاسـلامية وهى مليئة بالقصص البوليسية والعـاطفية والعدوانية .. الخ . وطالمـا لا يجد الطفل المسلم ما يملأ فراغ وقته بالمفيد والجذاب والمبدع ، طالمـا لا يتوفر بين يديه ذلك ، فهو نهب شئنا أم أبينا لذلك الفكر .

أما الآراء المسموعة . فلا مناص من الاعتراف أن البث الاذاعى من بقاع الأرض ، يسلط كثيرا من برامجه — ليس فقط بلغته الأجنبية — بل فى كثير من الأحيان بلغتنا العربية خلال موجاته الموجهة . وكثير من تلك البرامج مملوء بالسموم التى يقع الأطفال ضحية لها . حيث تهتز

---

(٢) محاضرة معالى وزير الاعلام الدكتور محمـد عبده يمانى عن « اقمار الفضاء : غزو ثقافى واستعمار جديد » بتاريخ ٢ صفر سنة ١٤٠٣ هـ فى قاعة المحاضرات بجامعة ام القرى — مكة المكرمة .

قيمهم وتتوه أمامهم الحقائق حول كثير من القضايا ، خصوصا اذا فقدوا برامج محلية بديلة . تشبع عندهم هذا التطلع . وتصحح لهم كثيرا من المفاهيم الخاطئة . ناهيك عن شرائط التسجيل الماجنه والمملوءة غناء وطربا وموسيقى بها هوس وجنون ، ينبهر بها الفتيان والفتيات ويقعون فريسة لها وضحية لتدنيها .

أما الفكر المصور . فبالرغم من حاجة الطفل اليه فى تفتيق ذهنه وتوقد قريحته . الا اننا ما زلنا فى حاجه الى تنقيه كثير منه . من الخيالات اللامحدودة . وعدم العقلانية فى كثير من مواقفه . الامر الذى يربك الطفل ويضعه امام تساؤلات عدة لا يجد لها اجابه شافيه . ويتارجح بين المعقولات والمحسوسات بل وربما يزداد تقه فى قدرة الانسان الى أبعد مما تحتمله قدراته البشريه .

أما التقاليد الفاضحة . فتتركز فى سفور المرأة فى بعض المجتمعات ووسائل زينتها التى فاقت الوصف فى الخروج عن آداب الاسلام وتعاليم الدين . الامر الذى يهون على الفتاة المسمة قيمة الحجاب . ويجعلها ترنو الى مجاراة المدنيه الملطخه بدماء الرذيلة والفساد .

ولا يقتصر التقليد على ذلك فهو ماثل أمامنا فى مضامنين حياتية يومية . نلمحه فى حفلاتنا . نلمحه فى جلساتنا . نلمحه فى علاقاتنا . نلمحه فى تصرفاتنا . مما يترك بصماته المؤكدة فى ذهن الشباب والأطفال وينعكس ذلك على الحياة المستقبلية للفتيان والفتيات .

٢ ــ عدم الملاحظة أو المراقبة على قراءة أو سماع أو مشاهدة هذا الفكر الوافد . وعدم الحجر أو التوجيه ازاء ذلك التقليد الأعمى . أو بمعنى آخر تخلت أسر كثيرة عن مسئوليتها لمواجهة هذا الغزو الثقافى . فتركت الحبل على الغارب أملا فى التمشى مع ظاهر تلك الحضارة الغربية ، وما هى كذلك فى قليل أو كثير ، كما انشغلت أسر كثيرة بشئون أخرى قد تكون مادية أو غيرها . وترك الأبناء والبنات نهبا لهذا الداء الدفين الخبيث الذى يسرى فى الجسم سريان الدم الملوث فى دم الكائن البشرى .

٣ ــ غدا الأطفال وقد فقدوا فى الأسرة أسلوب الصدق فى القول والاخلاص فى العمل والقدوة الصالحة بالمثل . ولم يعد للصدق من قيمة عند الطفل الا ألفاظ جوفاء يحفظها من كتاب ، كما بات الاخلاص فى العمل قصة تحكى وأضحت القدوة الصالحة تراثا يتلى .

من هنا جاء الانفصال بين النظر والتطبيق ، والفكر والعمل ، بينما

يقرن رب العزة جل وعلا فى كثير من آيات القرآن الكريم الايمان بالعمل • قال تعالى : « **ان الذين امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا** »(٣) •

وقال سبحانه وتعالى : « **ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا** »(٤) •

وبناء على ذلك انتهز أعداء الاسلام • ذلك الموقف وبدأوا يشككون فى كفاءة الاسلام على مواكبة الحياة العصرية • مما جرف الكثير من الشباب والفتيات — على اقل تقدير — فى اهتزاز فكرهم وتبعثر قيمهم الاصيلة •

٤ — كما يكمن خطر الغزو أيضا • فى عدم وجود البدائل التى تنطلق من منطلقات اسلاميه • تعوض الطفل هذا الفقر الوافد •

ولو وعينا ذلك وابتكرنا الاساليب السليمه فى ممارسة الرياضة بأنواعها المختلفة ، والثقافه بقنواتها المتعددة بحيث تواكب الفكر الحديث بمنهج اسلامى • لو وعينا ذلك لقضينا على الكثير مما نعانيه فى عالم اليوم ، ولاستطاعت الأسرة أن تأمن عاقبة هذه الفجوة الخطيرة فى أساليب التربية •

ومن هنا يمكن أن نقول : ان المشكلة قائمة • والتيار جارف • والأمر جد خطير ، يحتاج الى العلاج الأمثل الذى يقتلع الداء من جذوره •• وفى نفس الوقت علينا أن لا نظن واهمين أننا نستطيع أن نغلق على الطفل نوافذ الثقافة دون وجود بدائل عنها • أو توجه الأسرة تتخذ مواقف أكثر شدة وقسوة وغلظة وخشونة ازاء معاملة الطفل • دون أن نضع لها التقييم الصحيح لكيفية اشباع حاجيات الطفل النفسية والاجتماعية والروحية والبدنية • خصوصا فى هذا العصر الذى تزاحمت فيه منافذ الثقافة • وصار عبثا محاولة التعمية على الطفل ازاء هذه الثقافات • اللهم الا فى ظل البدائل المبدعة التى توجه الطفل من منطلقات اسلامية •

* * *

---

(٣) الكهف : ٣٠ (٤) الكهف : ١٠٧

* **أما أساليب العلاج ، فيمكن أن نوجزها فى الأمور التالية :**

١ ــ الاعتصام بالدين صمام الامان فى مواجهة هذا الغزو :

ذلك أن الأسرة اذا نجحت فى تربيه الطفل بمنهج اسلامى . واذا احتضن الطفل الاسلام قولا وعملا . فصار دما يسرى فى عروقه . وروحا ترتشفه نفسيته . حينئذ يمكن القول : انه لا خوف على الطفل المسلم . حتى ولو مثلت فجاج الارض فكرا محتلط وأهدافا هدامه وقيما ملوثه ، طالما حققنا كلمه الله فى الارض . ونفذنا الهدف الصحيح من استخلافه ايانا . بالمنهج المستقيم والاسلوب السليم .

ولا غرابه فى ذلك . فالتربيه فى مراحل التكوين الأولى من حياة الطفل تلعب دورا هاما رئيسيا فى توجيهه . وقد نندهش حين نلمح أن أسرا عديدة . عاشت وتعيش . وسط البلاد الغربيه . ومع ذلك فانها نجحت ــ الى حد ما ــ فى مقاومة هذا الغزو . فلفظت فكره ورفضته ، لا لشىء سوى أنه أضحى مبتذلا وممقوتا فى نظر الآباء وانسحب ذلك على الابناء فصار مهينا فى نظرهم . مكروها لدى فكرهم .

وكثير ممن تلقوا تعليمهم داخل أروقه الجامعات الغربية . صاروا من أكثر خصوم الفكر الغربى . والمهاجمين لأساليبه الهدامة . ولا شك أن الاعتصام بالدين الاسلامى وتقاليده السامية هو صمام الأمان لهذا الاتجاه المحمود ، خصوصا اذا تكون فى السنوات الأولى من حيـاة الطفـل .

٢ ــ التطبيق السليم للتربية :

ذلك أن الاسلام بكل مقوماته كفيل ــ اذا أحسن تطبيقه ــ أن يحمى الطفل من كل تلك الأفكار الهدامة . غير أنه قد يحلو للبعض الادعاء أن طفل المجتمعات المتقدمة . ونظم تربية الأسرة الغربية ، تنتج طفلا أكثر تحررا ، وأكمل صحة . وأغزر انتاجا . وربما تبدو تلك حقيقة تلوح فى الأفق . ولكنها فى واقع الأمر سراب يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا . ذلك أن المرائى تكشف نقيض ذلك فى كثير من الأحيان . فظواهر العدوان والعدر والتمرد واللامبالاة ، والهروب من الواقع كلها سمات اتصف بها كثير من الأطفال فى البلاد المتقدمة . وما ذلك الا دليل على اخفاق تلك الأساليب التربوية الحديثة ، وعجزها عن انتاج الشخصية المتزنة المتناسقة ، بصرف النظر عن مظاهر

الترف والبهرجة وأساليب الحياة العصرية . لأن ذلك كله يذوب أمام الفساد الذى استشرى . والقيم الروحية التى اهتزت أو كادت . والتقاليد التى امتهنت . هذا مع اعترافنا فى نفس الوقت بوجود هذه الطفرة الهائلة من التقدم الاقتصادى والصناعى .

ولا نجانب الصواب حينما نؤكد أن فى الاسلام مبادىء لو استخدمت بالشكل المناسب لحمت الطفل المسلم من تلك المزالق . ولكفته الوقوع فى الهاوية . ولحصنته من تلك التيارات الهدامة والفكر الملوث .

٣ ــ البناء الصحيح للأسرة المسلمة :

حيث حث الاسلام آباء المستقبل أن يتخيروا الزوجة السليمة من الامراض الخلقية والنفسية والاجتماعية على ان تكون ذات خلق ودين . وأن تكون ولود ودود . ان نظر اليها زوجها سرته . وان أمرها أطاعته . وان غاب عنها حفظته .

وحين يطلب الاسلام ذلك فى بناء الأسرة . فانه يؤكد أن : العقل السليم فى الجسم السليم . روى ابن ماجه والديلمى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تخيروا لنطفكم فان العرق دساس » وروى ابن ماجة والدارقطنى والحاكم . عن عائشة رضى الله عنها مرفوعا : « تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء » .

ولم يكن هناك من معيار لاختيار الزوجة سوى المنبت الحسن والخلق الحسن . روى الدارقطنى والعسكرى . وابن عدى عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا : « اياكم وخضراء الدمن » قالوا : وما خضراء الدمن يا رسول الله ؟ قال : « المرأة الحسناء فى المنبت السوء » وانطلاقا من هذا المبدأ أوصى عثمان بن أبى العاصى الثقفى أولاده فى تخير المنطف . وتجنب عرق السوء . حيث قال لهم : « يا بنى .. الناكح مغترس . فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه . و لعرق فى السوء قلما ينجب فتخيروا ولو بعد حين »[٥] . ولا غرو فان الأطفال هم ثمرة يعود أصلها الى طبيعة الآباء والأمهات . والتكوين السليم من البداية . يتبعه بالضرورة نبت حسن وخلق حسن .

---

(٥) عبد الله علوان . تربية الأولاد فى الاسلام . دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع . حلب . بيروت ؛ ج ١ ، ص ٣٧ ، ٣٨

روى الترمذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه . الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

وأى فتنة أعظم على الدين والتربية والأخلاق من أن تقع الفتاة المؤمنة بين براثن خاطب متحلل أو زوج ملحد لا يراقب الله تعالى ، ولا يمتثل بأوامره ، ولا يقيم للشرف ولا للغيرة وزنا . وأى فتنة أكبر من فتاة تصبح زوجة لرجل فاسق يجبرها على السفور والاختلاط وارتكاب المحرمات من شرب للخمر ... الخ[٦] .

وكم يصبح مؤسفا أن ينشأ أطفالنا — رجال المستقبل — وسط هذه البيئة المتحللة الماجنة الآثمة . فماذا نتوقع من أطفالنا والحال كذلك ؟

٤ — أثر الكلمة فى الأسرة :

للكلمة قيمة أساسية فى الأسرة . فبها ومنها التوجيه الصحيح **« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . تؤتى أكلها كل حين باذن ربها ، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون »**[٧] بالكلمة تستطيع الأسرة أن تبنى الضمير الخلقى لدى الطفل ، الضمير الذى لا يحيد ولا ينحرف ، ولا يهين ولا يلين أمام قوى البغى والفساد .

بالكلمة تستطيع الأسرة أن تجرد الفكر الوافد من أوهام الحقيقة ، وتعريه من مظهرية الصواب .

بالكلمة تستطيع الأسرة أن تراقب وتلاحظ تحركات الأطفال فتعدل سلوكهم اذا انحرفوا ، وتوجههم اذا ضلوا الصواب أو حادوا عن الجادة .

بالكلمة نحقق منهج الاسلام فى أساليب عقاب الطفل المذنب واثابة المطيع المجد .

ولا شك أن بالكلمة ، يمكن أن نفتت الصخر ، ونلين القلوب القاسية وكلما منح الآباء حكمة فى القول ، وسدادا فى الرأى ، وتطبيقا سليما فى العمل ، كلما توقعنا أطفالا ناجحين ، على المحن صابرين ، لكيد الأعداء صامدين ، وللفكر الملوث نابذين ورافضين .

---

(٦) المرجع السابق ص ٣٥ ، ٣٦ (٧) ابراهيم : ٢٤ ، ٢٥

٥ ـ البـــدائل :

وحتى يكون لكلمة وقع عند الأطفال . وحتى يمكن ان يستجيبوا لها . فلا مندوحه من توفير البدائل فى مواجهة تلك الأساليب الوافدة والبدائل تكمن فى الكلمه المقروءة بين ثنايا الكتب المشوقه الجذابه . المقروءة بالفكر الناضج و الأسلوب السديد .

البدائل فى البرامج المرئية والمسموعة . المنطقة من منهج اسلامى يعين على تكوين الشخصيه المتكامله المتزنه النقديه . البدائل الكامنه فى قيمنا الدينية الأصيلة وتقاليدنا الاجتماعية على أن تتضمن البدائل اجادة وتحسين سبل أدائها بشكل محبب وأسلوب مبهر .

البدائل الكامنة فى استحداث برامج رياضيه بمنهج يهدف الى بناء الجسم الصحيح السليم . الخالى من الأمراض النفسية والبدنية والوجدانية والعاطفيه والجمالية والروحية . وهكذا وبتلك الأساليب فى العلاج يمكن أن نملأ فراغ الطفل فى مواجهة هذا الغزو الثقافى .. ووقتها نستطيع نقول : انه لا خوف على الأجيال القادمة ولا على أطفال الحاضر من ذلك الغزو الوافد . حتى ولو ملئت فجاج الأرض فكرا مختلطا وأهـــداغا هدامة وقيما مشبوهة « **ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم** »[٨] .

* * *

---

(٨) الروم : ٤ ، ٥

المسجد .. ودوره التربوى
فى العصر الحـــديث

درج الناس على مدى التاريخ الطويل للحضارة الانسانية ؛ أن يستندوا الى التربية فى توجيه حياتهم . بحيث تصبح هذه التربية طاقة وقوة دافعة للحضارة الانسانية . ترتبط بمشكلات الفرد والجماعة . ويرى المجتمع فيها نفسه ويؤكد فيها ذاته .

والتربية الحقيقية هى التى تؤدى دورها فى بناء المجتمع . ولن يتحقق ذلك الا بنوع معين من التربية . تنطلق فيه طاقات الأفراد . وتستثمر فيه قدراتهم . ويكونون بذلك قادرين بما لديهم من مهارات وقيم وفكر على أن يحولوا كل ما لدى المجتمع من موارد بيئية الى طاقات تكون فى خدمة الانسان .

واذا صح أن أول مدرسة اسلامية ظهرت فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى — كما يشير الى ذلك د. سعيد اسماعيل فى كتابه « معاهد التعليم الاسلامى » وان كان لم يحدد أية المدارس أسبق فى الظهور ؛ هل المدرسة الصادرية (٣٩١ هـ) فى دمشق . أم مدرسة ابن فورك (٤٠٦ هـ) . وسواء أكان هذا أم ذاك . فالمهم أن الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى شهد ميلاد أول مدرسة اسلامية ؛ وان كان بعض المؤرخين قد روج لفكرة تقول : ان نظام الملك الوزير السلجوقى هو أول من بنى المدارس فى العصور الاسلامية ؛ فقد أنشأ المدرسة النظامية ببغداد عام ٤٥٧ هـ ؛ وان كان الكثير من الكتابات يؤيد أنها ظهرت فى الربع الأخير من القرن الرابع الهجرى كما ذكر ذلك د. سعيد اسماعيل فى كتابه سالف الذكر .

أقول فاذا صح ذلك فمؤداه أن المسجد حتى هذا التاريخ كان هو المؤسسة التربوية الوحيدة ؛ الذى نيطت به مسئولية التربية الكاملة بجميع جوانبها العقلية والبدنية والاجتماعية والروحية والأخلاقية .

وان كان هذا لا يعنى أنه بعد هذا التاريخ وحتى الآن . قد نقص دور المسجد وانما ما نعنيه هو أن المسجد فى تلك الفترة — قبل انشاء المدرسة — قد حقق الأهداف التربوية المنشودة ، وأدى دوره بنجاح فى غيبة المدرسة وقبل نشأتها .

ومع التطور الزمنى والمحن التى اجتاحت العالم الاسلامى ؛ استحدثت معوقات حدت من أداء المسجد لدوره التربوى ؛ مما استدعى بالضرورة تحسس أساليب وأنماط تربوية للمسجد تتناسب مع متغيرات العصر الحديث وتستمد من قيم الاسلام ومقوماته •

وسنتناول ثلاث نقاط رئيسية فى هذا الموضوع :

١ ــ المنظور التاريخى للدور التربوى للمسجد •

٢ ــ المسجد وظروفه الراهنة •

٣ ــ نمط الدور التربوى للمسجد فى العصر الحديث •

أولا ــ المنظور التاريخى :

* انتشار بناء المساجد :

يعتبر المسجد الحرام بمكة أول بيت وضع للناس ؛ قال تعالى : **« ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين »**(١) •

ويليه فى المنزلة المسجد الأقصا . قال تعالى : **« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصا الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هو السميع البصير »**(٢) •

كما يعد مسجد قباء أول ما بنى من المساجد فى الاسلام ويحتل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة مكانة عالية ؛ فاليه تشد الرحال •

وتوالت بعد ذلك الانشاءات للمساجد فى كل مدينة . وفى كل بقعة من أرض الاسلام والتى تشرفت بأن انتشر فيها الاسلام ؛ ففى مصر بنى الجامع الأزهر عام ٣٥٨ هـ ؛ كما كان قد أنشىء مسجد أحمد ابن طولون بالقاهرة (الفسطاط) عام ٢٦٥ هـ ؛ وفى دمشق أنشىء الجامع الأموى وتم بناؤه عام ٩٦ هـ ، وفى بغداد أنشأ الخليفة العباسى أبو جعفر المنصور جامع المنصور عام ١٤٥ هـ • وفى عام ٥٠ هـ بنى عقبة بن نافع جامع القيروان • وفى تونس أنشىء جامع الزيتونة عام ١١٤ هـ ، وكان قد بناه عبيد الله بن الحبحاب ، وفى قرطبة أنشىء جامع قرطبة عام ١٧٠ هـ ؛ بناه عبد الرحمن الداخل •• وغير ذلك من المساجد التى عمت المشرق والمغرب ؛ وكانت مضرب الأمثال فى الاثراء العلمى والفكرى والتربوى ؛ فقد أنيط بتلك المساجد مهام جسام شملت كثيرا

---

(١) آل عمران : ٩٦ (٢) الاسراء : ١

من مقومات الحياة الحرة الكريمة • فلم تكن تلك المساجد قاصرة فقط على الجانب الروحى ، بل اتسعت لتشمل التربية والتعليم ، ففى المسجد الحرام بمكة تخرج فطاحل الفقهاء والمحدثين منهم الامام الشافعى الذى تعلم وأفتى وجلس للتدريس بالحرم المكى ثم ارتحل الى العراق وكتب فيها مذهبه ثم ارتحل مرة أخرى الى مصر وكتب فيها مذهبه الجديد • وكان هذا العلم الغزير للشافعى نتيجة للدور الذى أداه المسجد الحرام فى التكوين العلمى للشافعى •

*** اتساع دور المسجد فى الاسلام :**

ولم يقتصر دور المسجد الحرام على علوم الفقه والشريعة بل اتسع ليشمل علوم الحديث واللغة من نحو وصرف وبلاغة • ولن ننسى الدور الذى قام به فحول العلماء بالمسجد الحرام حينما تمكنوا — على مدى التاريخ الطويل — من القيام بالاجابة عن الكثير من الأسئلة التى كانت تفد من كل صوب وحدب تستفسر عن الكثير من أحكام الدين والشريعة الاســـلامية •

وفى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة جلس النبى صلى الله عليه وسلم معلما أصحابه أمور الدين . وشارحا قواعد الاسلام بأسلوب النبى المعلم ، بالاضافة الى أن هذا المسجد كان مكانا لاستقبال الوفود واستنفار الجيوش ، وعقد المعاهدات ، وجمع الزكاة ، الأمر الذى جعل من المسجد مجمعا لجميع مصالح المسلمين بالاضافة الى الهدف الأسمى للمسجد وهو العبادة وبناء الجانب الروحى للفرد المسلم • وفى هذا المسجد تخرج جهابذة الفكر وعظماء المسلمين ومنهم عروة بن الزبير بن العوام وسعيد بن المسيب وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمر . وغيرهم كثير وكثير •

وفى الجامع الأزهر كثرت حلقات الدرس ، وشملت علوم الدين واللغة والتى تطورت فيما بعد حتى أصبح هذا المسجد نواة لأعرق جامعة اسلامية •

وفى المسجد الأموى بدمشق التقى الكثير من طلاب العلم من بلاد الشام ينهلون من الفقهاء والذين جلسوا للتدريس بهذا الجامع الشهير كما أن الامام الغزالى كان قد اعتكف فى احدى صوامع هذا المسجد وعرف مكانه هذا بالغزالية وما زال بهذه التسمية حتى الآن ، ولقد شمل التعليم بهذا المسجد علوم التفسير والحديث واللغة ، وكان ابن مالك أحد فطاحل علماء اللغة الذين كانت لهم حلقة بهذا المسجد •

كما اشتهر مسجد المنصور ببغداد بكثرة طلابه الذين توافدوا من أجل طلب العلم على فطاحل العلماء ومنهم الكسائى الذى يقرأ علوم اللغـــة .

*** دور مساجد شمال أفريقيا الرائد :**

ولم يكن حظ مساجد القيروان والزيتونة وقرطبة وغيرها بأقل حظا من غيرها . فلقد أدت المساجد دورا رئيسيا فى الحفاظ على التراث الاسلامى . وبناء الأجيال المؤمنة التى استطاعت بايمان الرجال وعزم المسلم الذى لا يلين أن تشيد صرح الاسلام وأن تقيم الدولة الاسلامية قوية عزيزة . مهيبة الجانب يخشاها أعداؤها . ويرهبها كل من يحاول النيل منها . ولم تكن تلك الأجيال قد تخرجت فى جامعة . بل كانت الجامعة والتربية والبناء كله داخل بيت الله ؛ داخل المسجد الذى كان ملتقى للفكر ومكانا للدرس . وصدق الله العظيم اذ يقول : **« انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصـــلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ، فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين »**(٣) .

وقال تعالى : **« قل أمر ربى بالقسط ، وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين ، كما بدأكم تعودون »**(٤) .

وكأننا بهذه الآيات أمام هدف أسمى للمسجد هو التوحيد والوحدة ؛ وتوحيد الله . والوحدة الايمانية التى تنعكس على المسلمين . وهم على قلب رجل واحد . يتجهون الى الله فى وقت واحد . وصف واحد . وموقف واحد ؛ أمام رب واحد ؛ الكل أمامه واحد ؛ لا فضل لأحد على أحـــد فالدين عام وشامل . والرب حاكم وعادل .

وهكذا تلمح الصبغة الروحية التى يكتنفها المسجد ؛ ويتنسم رحيقها المسلم كل يوم خمس مرات .

ولا شك أن هذا الزاد الروحى ؛ حين يلقى نسماته على المسلم يزيح من وجهه كل كوابيس الأرض ؛ وينزع عنه لباس الخوف والفزع ؛ ويصبح المسلم فى مأمن لأنه مع الله **« فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون »**(٥) .

---

(٣) التوبة : ١٨ ــ وانظر : د. سعيد اسماعيل على ؛ معاهد التعليم الاسلامى ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٩٦ ــ ١٢٢

(٤) الأعراف : ٢٩ (٥) غافر : ١٤

هذه اللمسات الروحية . بالاضافة الى الجوانب التربوية الأخرى التى سبق الحديث عنها . تقلصت أو كادت مع مرور الزمن ومع ظهور بدائل أو وسائط تربوية جديدة . أدت الى ظهور معوقات حدت من أداء المسجد لدوره التربوى .

* * *

ثانيا ــ المسجد وظروفه الراهنة :

*** أسباب تقلص دور المسجد الرائد :**

ربما كان من أسباب تقلص دور المسجد التربوى ، ظهور المدرسة الاسلامية التى تمكنت من دراسة العلوم التجريبية والتى تحتاج الى معامل خاصة ونظام معين قد لا يتسع له المسجد . وتألقت الوسائط التربوية بمؤسساتها المختلفة ، والتى تمثلت فى المدرسة والجامعة ووسائل الاعلام من صحافة واذاعة وتلفاز ، الأمر الذى أوجد الكثير من نوافذ المعرفة . والتى أطلت على الانسانية بكثير من الفكر المستورد . والتيارات المنحرفة والتى لا تتناسب مع مفاهيم الفكر الاسلامى والتربية الاسلامية فى كثير منها ، ومن هذا المنطلق ، وعن طريق تلك الوسائط التربوية الحديثة والتى جاءت فى معظمها على نهج غير اسلامى ، سادها التقليد السافر للفكر الغربى فيما يتعلق بالكثير من الأنماط التربوية وبتنا وأصبحنا وقد اختفى الكثير من القيم الاسلامية الخلاقة . والأسس التربوية السلمية فى المنزل والشارع وأماكن العمل . واضمحل بالتالى الدور التربوى للمسجد ، خصوصا فى ظل الاعداد المتواضع للدعاة والخطباء فى المساجد ، الأمر الذى ترتب عليه انصراف الكثير من المسلمين عن المسجد ، أو بالأحرى عدم تعلق الكثير من الآمال التربوية على المسجد .

*** آثار انحسار دور المسجد القيادى :**

وبهذا الشكل اقتصرت وظيفة المسجد الآن فى كثير من بلاد الاسلام على تأدية الصلوات . واعطاء بعض دروس الوعظ التى تأتى فى تكثير متناثرة وغير هادفة او مترابطة . وكان من ثمرة ذلك أن انتشرت كثير من العادات السيئة ، والمستجلبة من وسائل الاعلام الحديثة . فانطمست قيم أخلاقية كثيرة . وسادت صفات أخرى ذميمة وممقوتة . ولا شك أن هناك صيحة تعلو الآن تنادى بأن يعود للمسجد الدور القيادى

التربوى . وقد تنجح هذه الاجتهادات أحيـانا . خصوصا مع توفر الامكانيات وصدق النية لله رب العالمين . ولكن لا يخلو الامر من الحاجه لبذل المزيد من الجهـد للتعرف على كيفية اسـتعادة المسجد لدوره التربوى فى العصر الحديث .

* * *

ثالثا ـ أسلوب ونمط الدور التربوى للمسجد فى العصر الحديث : حتى يعود للمسجد دوره الرائد :

تسعى التربية دائما الى تحقيق النمو الكامل والمستمر للفرد . ليشمل الجانب البدنى والاجتماعى والخلقى والثقافى ، وحتى يستعيد المسجد دوره ازاء هذه الغايات فلابد من توفر العناصر التالية :

وضوح الأهـداف التربوية للمسجد فى فكر الأئمـة والخطبـاء للمساجد وهذه الأهداف لابد أن تنطلق من منطلقات اسلامية . وتعتمد على فكر اسلامى مستمد من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . قال تعالى : « **فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال . رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار . ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله ، والله يرزق من يشاء بغير حساب** »(٦) . وتتلخص أهداف المسجد التربوية فى :

(ا) اعداد الفرد المسلم الصحيح البدن الجيد الخلق السليم القلب المثقف بالفكر الاسلامى الخالص والمتسم بالكمال الانسانى .

(ب) بنية المسجد ورسمه وتخطيطه يجب أن تنهج منهجا جديدا . يغطى احتياجات بناء الفرد المسلم ومن هنا يجب أن يعد المسجد فى صورته الجديدة ليكون مؤسسة اسلامية تضم قاعة كبيرة للمطالعة . مزودة بالكثير من الكتب الاسلامية والاجتماعية والثقافية لتغطى الكثير من احتياجات الفرد المسلم . كما تضم تلك المؤسسة قاعة كبيرة تمارس فيها الأنشطة الرياضية للشباب على اختلاف أنواعها بحيث يمكن بناء المسلم الصحيح البدن ، فى ظل الرعاية السليمة الموجهة .

وبهذا نضمن اقبال الشباب على المؤسسة الاسلامية ـ المسجد ـ وقضاء معظم الوقت بداخلها ، مما يؤدى الى وجود خط موازى للوسائط

---

(٦) النور : ٣٦ ـ ٣٨

التربوية الأخرى . والتى بها الكثير من الخلط والتشويش على عقول الشباب .

وبالطبع فالمؤسسة — المسجد — يجب أن تتم فيها اللقاءات والندوات التربوية والاجتماعية فى المناسبات المختلفة .

(جـ) التمويل الكافى للمسجد فى صورته الجديدة . وذلك حتى يمكن تحقيق الأهداف سالفة الذكر ، ويا حبذا لو وضعت له ميزانية خاصة لها عدة مصادر للتمويل سواء على المستوى الرسمى أم المستوى الاجتماعى والشعبى .

(د) وأخيرا الاعداد الجيد للقادة التربويين من الأئمة والخطباء ، ليكونوا طاقات تربوية موجهة .

ولن يكون ذلك الا حينما تتوفر خطة متكاملة داخل كل دولة اسلامية على حدة . وداخل كل مجموعة من الدول الاسلامية تتضح فيها الأهداف وتبرز فيها الغايات من وراء رسالة المسجد التربوية فى ظل اعداد جيد يقوم عليه أئمة متخصصون .

ولعل من دعائم ضمان الاعداد الجيد للأئمة ، أن تؤسس معاهد خاصة تستقبل حفظة كتاب الله وتقدم لهم تلك المعاهد دراسات دينية ، يمكنهم بعدها مواصلة دراساتهم بنجاح فى أقسام الاعداد المختلفة للأئمة والخطباء .

بعد هذا يمكن أن يحقق الدور الذى نيط به ويتمكن من أن يستعيد مكانته الأولى فى الأزمان السالفة .

ويصبح المسجد مؤسسة تساهم فى البناء الصحيح للفرد المسلم وتتولى علاج المشكلات الاجتماعية والأسرية ومشكلات الشباب خلال الحياة اليومية بالاضافة الى الهدف الأسمى وهو التربية الروحية .

ونحن متفائلون بأن تحقيق هذا سيكون قريبا ان شاء الله تعالى ، فالغيرة متوفرة . والنية صادقة . وبعض المؤسسات الاسلامية تسعى جاهدة فى سبيل هذا . والله سبحانه من وراء القصد وهو الهادى الى سواء السبيل ، والله متم نوره ولو كره المشركون .

* * *

الاعلام ... ودوره التربوى فى مواجهة الغزو الثقافى

لا يستطيع انسان — مهما أوتى من ثقافة — أن ينكر الدور الكبير الذى يقوم به الاعلام فى عالم اليوم كما لا يستطيع أن يتملص من القراءة أو المشاهدة أو الاستماع الى وسائل الاعلام المختلفة . فهو شاء أم أبى يتعامل مع هذه الوسائل . ويحتك بتلك الركائز الثقافية المتعددة .

ومع هذا التطور الهائل . والتقدم التكنولوجى الرهيب . تيسر للانسان التعرف على كل ما يدور فوق هذه الأرض . من شرقها الى غربها ومن شمالها الى جنوبها . فلم تعد المسافات الشاسعة عقبة فى تسيير الخبر الى أقصى أرجاء المعمورة ؛ وانما كل ما يمارسه الفرد لا يتعدى ادارة مفتاح صغير ؛ به ينفتح على كل ما يدور فوق هذا الكوكب من تفاعلات وأحداث وأنباء .

من هنا فلا مناص من الاعتراف بالدور الجوهرى الذى يلعبه الاعلام فى حياتنا ؛ بل هو بحق الصورة التى تعكس كل أوجه الثقافة المتعددة . والمعرف الكثيرة داخل وخارج المجتمع .

والمجتمع — أى مجتمع — يمكن الحكم على تطوره أو تخلفه . تقدمه أو تقهقره من خلال ما تقدمه وسائل الاعلام فى ذلك المجتمع . بمعنى أنه كلما اتسمت برامج الاعلام فيه بالجدية والموضوعية والمسئولية كلما دل هذا على تقدم المجتمع وتطوره ؛ والعكس صحيح .

واذا كان هذا المعنى يصدق على الاعلام المحلى داخل المجتمع ؛ فان وعى الأفراد ؛ وتسلحهم بالوسائل العلمية الصادقة ؛ والثقافة الاسلامية الصحيحة خير موجه لهم ؛ لتقبل الصحيح من الاعلام الموجه عبر البث الاذاعى الخارجى الذى يأتى عن طريق برامج الاذاعات الموجهة الى عالمنا العربى والاسلامى .

ومما لا شك فيه أن تداول أجهزة الاعلام ، بهذا الكم الضخم ، وتلك الأعداد الهائلة ، واختراقها الى منازلنا وبيوتنا ؛ سهل أسلوب التعامل مع هذه الأجهزة ، الأمر الذى تطلب الحرص والتوعية خلال التعامل مع تلك الوسائل الاعلامية .

والواقع المر أننا لا نستطيع السيطرة أو التحكم فى تلك الأجهزة . مما أكد علينا ضرورة التوجيه المباشر وغير المباشر لعقول الشباب والأطفال . وتوعيتهم أثناء استماعهم للبرامج من خلال تلك الأجهزة .

ولا شك أن الدين عندما يصبح متعمق فى نفوس الجماهير . وأصيلا فى كيان الشباب والأطفال . كلما توفر ذلك . كلما استطعنا أن نأمن مخاطر البرامج الموجهة الى عالمنا العربى والاسلامى .

ومن الملاحظ أن الاعلام أصبح يشكل قوة فعالة فى جميع المجتمعات غنيها وفقيرها . عظيمها وحقيرها . متقدمها ومتخلفها . كما أنه يتضمن جميع التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وربما بتفاوت التأثير والتأثر من جانب الى جانب آخر . ومع ذلك فيبقى أن وسائل الاعلام ما زالت وستظل تمثل قطاعا كبيرا وضخما . يسير جنب الى جنب مع وسائر المؤسسات التربوية الأخرى داخل المجتمع .

من هنا بات لزاما علينا اعطاء درجة عالية من الاهتمام بوسائل الاعلام كاحدى وسائط التربية ، التى تحتاج الى توجيه والى تبصير وتوعية ، خصوصا مع ما نشاهده فى عالم اليوم من القصور الذى أحاط بالمؤسسات التربوية ، ومنها المدرسة والأسرة وغيرهما .. وأيضا مع ما نلاحظه من أن الاعلام يخاطب الملايين ببرامجه ؛ مهما كانت طبيعة هذه الملايين . مثقفة أو غير ذلك ، واعية بقيمة وفهم الكلمة أم لا ..

ولا شك أن الغزو الثقافى يحاول بشتى الوسائل استخدام الاعلام فى بذر سمومه بين البراعم الغضة من الأطفال والشباب حتى يتمكن من بلبلة الفكر ، وذبذبة الفرد فى سبيل قلة ثقته فى معتقداته ؛ ومقدراته الثقافية والحضارية والدينية .

وهذا الغزو الثقافى يهدف فى حقيقته الى فرض فكر غير اسلامى لمفكرين غير مسلمين . وذلك عبر نشاطه الاعلامى والتربوى الموجه . من أجل التشكيك فى صلاحية المنهج الاسلامى كنموذج صالح للمجتمع عبر برامج اعلامية موجهة هادفة .

والاعلام الاسلامى بما له من رصيد ضخم وهائل . قادر على تنمية قدرات الأفراد فى جميع المجالات ، وقادر كذلك على التناسق بين الفرد وبين عقيدته ؛ بين الفرد ومجتمعه ؛ بحيث ينتظم المجتمع . وتختفى منه فجوة الخلخلة بين الفكر والعمل ، بين النظر والتطبيق

طالما يستمد الاعلام مادته ونصوصه من الثقافة الاسلامية . ومن الفكر الاسلامى .

« ولا شك أن الفرد — أى فرد — تتناسب قدرته على المعيشة الناجحة فى جماعته مع القدر الذى يحصله من ثقافته . والسبب فى هذا أن الجماعة ليست فى حقيقتها — عندما ننظر اليها بمنظار التربية — ليست الأفراد الذين يكونونها . وليست الأجيال المتعاقبة عن هؤلاء الأفراد وانما حقيقة الجماعة فى الثقافة التى تتوارثها الأجيال المتعاقبة .

ومن هنا فالأفراد يذوبون فى كل جماعة . وتبقى الثقافة . فهى لا تذوب أبدا . لأنها واجهة الجماعة ومرآتها » .

وبناء على ذلك فان تربية الفرد فى ظل العقيدة الصحيحة المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أمر حتمى يقع على الاعلام المسئولية الكبرى من بناء الفرد المسلم ونموه فى ظل تلك المبادىء السامية . حتى يستطيع أن يواجه مجتمعه المحلى . والمجتمع الدولى وأن يتفاعل معهما بما استفاده من ثقافته الاسلامية التى اهتدى اليها .

من هنا فالاعلام يتحمل « مسئولية تمكين الانسان المسلم من ثقافة اسلامية صحيحة . لأن الفرد المسلم اذا تعرض لتربية لم تعطه كل ثقافة مجتمعه أو أعطته صورة خاطئة من هذه الثقافة . أو تعرض لأن يتربى وينمو بوسيلة ثقافية لجماعة أخرى . فان ذلك ينعكس على الفرد وعلى الجماعة وعلى التربية فى المقام الأول » .

* * *

مصطلحات ومفاهيم

أولا — الاعلام العام :

ويقصد به تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات الموضوعية الصحيحة والواضحة : وكلمة الاعلام فى حد ذاتها مصاغة من أعلمه بالشىء . فهو يقوم على مبدأ التفاهم القائم على تنظيم التفاعل بين الناس وتجاوبهم وتعاطفهم فى الآراء فيما بينهم : والاعلام بهذا يعتبر من الظواهر التى طورتها الحضارة الحديثة وأمدتها بالمواد والامكانيات الهائلة : بحيث أصبحت تمثل قوة لا يمكن الاستغناء عنها فى عالم اليوم على المستويين الشعبى والحكومى على السواء .

ثانيا ــ الاعلام الاسلامى :

ويقصد به تكوين رأى عام صائب يدرك الحقائق الدينية ويتفهمها ويتأثر بها فى معتقداته وعباداته ومعاملاته ؛ بشرط أن تتوفر فيمن يتعرض لهذا الميدان الصفات الدينية والخلقية المتعمقة والواسعة فى الموضوع الذى يتناوله بالكلمة المكتوبة أو المسموعة أو المشاهدة .

وبصفة عامة . فالاعلام الاسلامى يهدف الى تزويد الجمـــاهير بحقائق الدين الاسلامى المستمد من الكتاب والسنة بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال وسيلة اعلامية دينية متخصصة أو عامة .

* * *

* الموقف الحالى للاعلام :

بنظرة متانية فاحصة لصور الاعلام المتعددة الحالية نلمح أنه يعتريها القصور وينتابها الخلل فى كثير مما تقدمه . وما تتعرض له من قضايا وموضوعات ؛ على جميع الأشكال والتخصصات سواء ما كان منها بالكلمة المكتوبة أو المسموعة أو البرامج المشاهدة .

(ا) الكلمة المكتوبة : ويلاحظ أن الكلمة المكتوبة لم تف ولم تشبع حاجات ومتطلبات مختلف القطاعات من الجماهير ؛ خصوصا من الشباب والأطفـــال .

ويظهر هذا بوضوح عندما نلمح أنه لا تنويع فى الأبواب المكتوبة بل هى ثابتة . لا تلوين فيها ولا تجديد ؛ بل ربما لا تتاح الفرصة للجيل الصاعد من الشباب أن يدلى بدلوه . وأن يدخل ميدان الكتابة بنمط جديد . بهدف التكامل فى البنية الثقافية بين التراث الحضارى ؛ وبين المكتشفات المعاصرة ؛ فالأصالة والتجديد ملمحان ملحان نحتاج اليهما فى عالم اليـــوم .

والمشاهد أيضا أن فن الاخراج للكلمة المكتوبة سواء بالصحف اليومية أو المجلات أو الكتب الثقافية ، يحتاج الى اعادة نظر ، فغالبا ما ينحصر الاخراج فى أشكال محدودة لا ينفك عنها ولا يتجاوزها بحال من الأحوال . الأمر الذى يجبر القارىء على أن يستقى المعلومات من صحف أخرى ؛ قد تكون خارجية وأجنبية وغريبة عن بيئتنا وغير مستمدة من قيمنا ومبادئنا الاسلامية ، وحينئذ يقع شبابنا فريسة لفكر وافد علينا . يقتحم دارنا بارادتنا ، أو بالرغم منا ، طالمـــا لم نخرج الصحيفة

أو المجلة بالشكل الذى يستقطب الجمهور . ويسيطر على اتجاه الأفراد نحو القراءة .

والملاحظ كذلك أن متطلبات الجماهير لا تجد لها صدى بصورة كاملة خلال الكلمة المكتوبة . فالشأن فى الكلمة المكتوبة أن تستجيب لحدس ومشاعر الجماهير على جميع المستويات الثقافية لا أن تفرض نوعا معينا ولونا خاصا من ألوان الثقافة .

ومما تجدر الاشارة اليه اختفاء ظاهرة توزيع الأدوار الثقافية بين الصحف والمجلات والكتب . فلا نلمح بشكل جدى وفعال أبوابا من صحيفة أو أجزاء من مجلة خصصت للشباب أو الأطفال تبحث فى مشاكلهم . وتتعرف على احتياجاتهم بصورة متكاملة ؛ تتحرى فيها صدق التعبير . وتراعى فيها المبادىء والقيم المستمدة من الكتاب والسنة .

(ب) الكلمة المسموعة : بالرغم من المحاولات المبذولة لبث برامج دينية متخصصة فى قضايا الدين عبر اذاعات معينة الا أننا نلمح القصور فى أمور تتركز فى : الازدواجية بين البث الاذاعى للبرنامج العام والبث الاذاعى لأمور الدين . الأمر الذى ترتب عليه ازدواجا وبعثرة للجهود . وغدت المسألة وكأنها مجرد ساعات تخصص لبرامج دينية فى اذاعة خاصة . قد لا يتنبه لها قطاع كبير من الجماهير . ناهيك عن اجتذاب البرامج المنبثة من البرنامج العام والتى تستقطب اتجاه الكثير من الشباب والأطفال . وبهذا خلا البث الاذاعى للبرامج الدينية — من المحطات الخاصة — من تحقيق هدفه بالشكل المأمول ؛ وهو التوعية الثقافية لأمور الدين والعقيدة الاسلامية للسواد الأعظم من الجماهير المسلمة . اللهم فيما سوى البعض من الكبار فى السن . ممن أهلوا أصلا فى أمور الدين .

ومن عثرات المواطن تستهويه البرامج الترفيهية . وتسيطر عليه . مما لا يجد به متسعا لاستماع البرامج الدينية المتخصصة .

— لا موازنة بين البرامج الاذاعية . وبين احتياجات الجماهير والمشكلات اليومية التى تعيشها . فالمواطن فى حاجة الى ما يمس جوهر حياته مباشرة . سواء فيما يتصل بالجانب النفسى والروحى أو الجانب الخلقى أو العقلى أو البدنى .. الخ .

— ما زال نصيب الشباب والأطفال من البرامج فى حاجة الى جهد وتدعيم للتأكيد على دور الشباب من أجل تحقيق النمو الاجتماعى والاقتصادى والحضارى والثقافى .

— البرامج الموجهة الى عالمنا العربى والاسلامى تصاحبها سموم مدسوسة ، بهدف النيل من اسلامنا ومن حضارتنا ومن مقدراتنا . وبرامجنا الاذاعية لا تعير اهتماما خاصا وبشكل فعال لمواجهة هذه المغالطات . والرد على تلك الافتراءات والأباطيل .. وتشويه الحقائق . الأمر الذى يربك المواطن العادى . وقد يقع فريسة لتلك البرامج فتحتويه . وتستولى على فكره . فيتشكك فى مقدرات أمته وحضارة بلاده . ولم يكن ذلك سوى التقصير فى ترك الحبل على الغارب لهذه البرامج المدسوسة والدخيلة على بلادنا .

— ما زالت هناك مجالات كثيرة . تحتاج الى برامج جديدة تساير الحضارة التى نعيشها . وتتوازى مع التقدم الصناعى والاقتصادى الذى تعيشه أمتنا الاسلامية ، حتى تستجيب تلك البرامج بشكل مباشر وغير مباشر لحياة المسلم فى عالم اليوم . وحتى تستقطب جميع الأفراد على جميع المستويات الثقافية والنوعية .

(ج) البرامج المرئية : ولا مندوحة من التسليم أن هناك محاولات تبذل من أجل تطوير هذه الوسيلة الاعلامية الحديثة . التى استقطبت معظم الجماهير من مثقفين وغير مثقفين . لدرجة باتت الكلمة المكتوبة تعانى من ندرة قرائها ومن سبر أغوارها . ولا شك أن الجماهير تستهويها الراحة . فطالما تصل اليها المعلومات بشكل أيسر . فلا حاجة بها الى بذل الجهد المادى والبدنى فى شراء الكتاب وفى قراءته .

وما دام الحال والشأن كذلك فان « التليفزيون » يلعب دورا تربويا خطيرا فى العصر الحالى . ومع ذلك لا يختلف اثنان على أن هناك قصورا يتركز فى أن البرامج التليفزيونية خالية من الكثير من اعطاء الشباب القدر المناسب من مناقشة مشاكلهم . ومن تعرف على ظروفهم خلال المتغيرات الجديدة . سواء منها ما يرتبط بالأسرة أو العلاقات الزوجية ، أو مشكلات الزواج وما الى ذلك مما لا يمكن فصله عن حياة المواطن . كما نلاحظ أن مشكلات الناس لا بد أن تتضح من خلال برامج تناقش مشكلات الجماهير . وتستجيب لطرائق حلها بما يتفق ومبادئنا الدينية السمحة . ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض برامج « الكرتون للأطفال » خصوصا الأجنبية منها ما زالت تعتريها شبهات ، وينتابها الخلط فيما يتصل بالخيالات غير المعقولة . الأمر الذى يحتاج الى بدائل متخصصة تتم بمادة علمية صادقة وبصورة كريمة بعيدة عن الايقاع فى الشبهات

أو الانبهار بأمور خرافية تربك الطفل وتوقعه فى تشكيك وتشويش لا أساس له من دين •

* * *

*** طرق العلاج :**

وتتركز طرق العلاج فى :

أولا : التنسيق بين دور الصحف والمجلات والكتب الثقافية بما يضمن تحقيق الأهداف المنشودة فى بناء المواطن المتكامل علميا وثقافيا وخلقيا ودينيا •• الخ •

ثانيا : تلاشى الازدواجية — بقدر الامكان — بين برامج البث الاذاعى من البرنامج العام • وبين البث الاذاعى من المحطات المتخصصة فى البرامج الدينية • وهذا يتيح الفرصة لتوحيد برامج دينية كثيرة بحيث يمكن ضمان الاستماع اليها لقطاع كبير من المستمعين •

ثالثا : استحداث بدائل لبرامج الأطفال • بحيث تظهر البطولات الاسلامية كمادة علمية فى قصص مبسطة • تركز على التراث الاسلامى • وتساهم فى بناء الشخصية السوية الواعية بالفكر الاسلامى الأصيل •

رابعا : يجب أن تتزامن البرامج المسموعة والمرئية مع الأوقات التى يستجيب فيها الجمهور للرؤية أو الاستماع • خصوصا فيما يتصل بالبرامج المرتبطة بمشكلات الناس • حتى تتلاشى بعثرة الجهد المبذول فى تلك المادة العلمية المسموعة أو المرئية •

خامسا : ملاحقة الأفكار التى تبثها البرامج الموجهة الى عالمنا العربى والاسلامى والعمل على تعريتها من الصحة والصواب أولا بأول •

سادسا : النزول الى الشارع وتبنى مشكلات الناس وملاحقة العمل على حلها وعلى علاجها •

سابعا اشراك الأقلام الجديدة • والأفكار الجديدة بالكلمة المكتوبة والمسموعة والمرئية •

* * *

المدرسة ... ودورها التربوى فى مواجهة الغزو الثقافى

المدرسة والمجتمع متلازمان رقيا وتخلفا . تقدما وتأخرا . تطورا وجمودا . فحيثما يكون مستوى المجتمع يكون مستوى المدرسة . وحيثما يكون مستوى المدرسة يكون مستوى المجتمع . فمن وظائف المدرسة أنها تعمل على زيادة كفاية المجتمع وفاعليته ، فى معركة الصراع والتنافس الثقافى . الذى بلغ ذروته فى عصرنا الراهن ؛ وبات مؤكدا أن كل صراع بين الجماعات البشرية . انما هو صراع بين ثقافات . وحضارات وطرق حيـــاة .

واذا كانت معظم العلاقات الدولية . والعـــلاقات الخارجية بين المجتمعات . لا تخلو من لون التنافس والصراع الثقافى . فان واجب المدرسة تزويد الجيل الناشىء بأدوات هذا الصراع . سواء منها الزراعية أو الصناعية أو الأيديولوجية أو الجغرافية ، وقبل هذا وبعده الدينية .

هذا واذا تأكد لدينا أن المؤسسات التربوية والتعليمية . وعلى رأسها المدرسة . لم تسلم من هذا الغزو الثقافى . بل كرس هذا الغزو حملاته وجهوده . لبذر تلك السموم بين البراعم الغضة . حتى يمكن تطعيم هذا الجيل بفكر ملوث . يهدف الى بلبلة الفكر . وذبذبة الفرد من أجل زعزعة ثقته . فى معتقداته ومقدراته الثقافية والحضارية .

أقول : اذا كان ذلك كذلك . فما هو واقع المدرسة الحالى فى المجتمع الاسلامى ؟ ثم كيف تسلل هذا الغزو الثقافى الى المدرسة فى المجتمع الاسلامى ؟ وهل المدرسة فى المجتمع الاسلامى قادرة على مواكبة روح العصر فى ميادين العلم المختلفة ؟

ثم هل المنهج فى صورته الحالية ؛ يتيح الفرصة لبنـــاء العقلية الابتكارية المبدعة ؛ القادرة على الصمود فى وجه التيارات الالحادية الهدامة ؟ وهل المعـــلم فى المدرسة مهيأ نفسيا وعلميا وتربويا وخلقيا ودينيا لتحمل مسئوليته فى بناء الفرد المسلم ؛ المتسلح بمقومات الثقافة الاسلامية . القادرة على مواجهة التيارات الالحادية الهدامة ؛ والغزو الثقافى الخطير ؟

ثم هل تلميذ المدرسة الحالى قابل ومهيأ لتحمل دوره فى المستقبل ؛ سواء فى جانب الفكر والنظر ؛ أو الابداع والابتكار ؟

لا شك أن المدرسة فى مجتمعاتنا الاسلامية . وفى صورتها الراهنة تحتاج الى مراجعة للبرامج والمناهج . وطرق التدريس . حتى يمكنها أن تواكب العصر وتساير التقدم .

* * *

اولا ــ وصف عام لطبيعة المدرسة واهدافها فى العصر الحالى :

يغلب على طبيعة المدرسة فى عصرنا الحالى أسلوب التلقين . الذى يعنى عرض وجهة نظر معينة على التلاميذ . دون السماح لهم فى غالب الأحيان بمناقشة وجهات نظر أخرى . كما يعنى التلقين أيضا محاولة التركيز على نقل المعارف والتراث . كما هو من أجل المحافظة عليه والابقاء عليه على مر الأجيال والدهور .

من هذا فلم يكن هناك من هدف للمدرسة الحالية . سوى أنها مكان لتلقى مجموعة من العلوم والمعارف . وتحفيظ المتعلمين لها . دون الاهتمام بالجانب الابتكارى أو الابداعى . اللهم فيما عدا العلوم العلمية التى تحتاج الى جهد جهيد من أجل الوصول بها الى تحقيق أهدافها الحقيقية .

وعموما فلقد بات جل اهتمام المدرسة . وخصوصا فى المرحلة الابتدائية منصبا على التخلص من الأمية . للسواد الأعظم ؛ فى بلاد المجتمعات الاسلامية . وخصوصا الفقيرة منها . واذا صح أن بعض تلك المدارس تولى وجهها شطر المواد الدراسية الأساسية ؛ فانها لا تعدو أن تكون مبادىء أولية فى الحساب . ومختارات معينة من القرآن الكريم والسيرة النبوية . والأحاديث . وبعض الدراسات فى الأخلاق الاسلامية ؛ والتواريخ والمناسبات السياسية .

وحتى فى المدارس الدينية ــ المعاهد المتخصصة ــ نجد مناهجها قد تقلصت . لتغدو محصورة فى علوم الدين : من فقه . وتفسير . وعقيدة . وعلوم اللغة العربية ؛ دون ما ارتباط كبير بالمواد العلمية ؛ المرتبطة بالمفاهيم العصرية ؛ والنظريات العلمية الحديثة . الأمر الذى ترتب عليه عزل خريجى هذه المدارس عن الفكر المعاصر . وبالتالى حصرهم داخل نطاق محدود ؛ سواء فى دور العبادة أو المؤسسات الدينية الضيقة .

من هنا بات التباين واضحا بين نمطين من التعليم : التعليم الدينى والتعليم المدنى وغدا معظم طلاب العلم . وأولياء الأمور . يجنحون الى الدفع بأبنائهم وبناتهم الى التعليم المدنى . حتى يتخلصوا من هذا الحصار المضروب عليهم .

ولا شك أن هذه النتيجة كانت الثمرة . التى تمخضت عن الغزو الثقافى للمجتمعات الاسلامية . وهذا مما يلقى بالتبعية علينا . من أجل تبيين كيفية تسلل ذلك الغزو الثقافى الى مدارسنا . فى المجتمعات الاسلامية ؛ وكيف أنه لعب هذا الدور الخطير ؛ فى ارساء دعائم التعليم . بصورة ازدواجية : دينية من جهة ومدنية من جهة أخرى . فى حين لم يسلم كلا النظامين من قصور فى الأهداف . والمناهج . وطرق اعداد المعلم ؛ ونوعية التلميذ .

واذا كنا قد ألمحنا الى ذلك فى التعليم الدينى . فان التعليم المدنى لم يكن أكثر حظا من التعليم الدينى . حيث خلا فى كثير من مناهجه . من الجانب الروحى . والعقائدى والفكرى . بل وحتى الابتكارى والابداعى . وما جاء مشتملا على ذلك فلا يتعدى القشور التى لا تستقر فى ذهن المتعلم ولا تستكن فى قرارة نفسه .

واذا جاز لنا أن نقول : ان بعضا من بلاد العالم الاسلامى ؛ خصوصا التى انجلى عنها الاستعمار ؛ قد سعت وجدت فى تطوير مناهجها . واضفاء مزيد من التعديلات والتنقيحات على تلك المناهج ؛ حتى تغدو متلائمة مع البيئة المسلمة ؛ الا أنه وحتى الآن ما زالت هناك ثغرات بتلك المناهج ؛ خصوصا ما يرتبط منها بالجانب الروحى والدينى والعقائدى وينحصر ذلك فيما يلى :

(ا) ضيق المعرفة التحصيلية ؛ حيث ان ما يقدم خلال المراحل الدراسية ؛ لا يحقق الهدف المنشود ؛ مما ينتج أفرادا قليلى المعرفة خصوصا فى الجانب الدينى .

(ب) اعتماد كثير من المدرسين على أسلوب التلقين ؛ وهو أسلوب لا يؤثر كثيرا فى نفوس التلاميذ ؛ ولا يجذبهم الى الدرس .

(جـ) قصور بعض المناهج الدينية عن دراسة الشخصيات الاسلامية المتسمة بالأخلاق الحميدة .

(د) اقحام معلمين غير أكفاء لتدريس المواد الدينية .

(هـ) ضـيق الوقت المخصص لتـدريس المواد الدينية المرتبطه بالعقيدة . فهو لا يتعدى ساعة أو ساعتين أسبوعيا . بينما يبقى الامتحان فيها رهينا بالتأرجح بين الانماء والابقاء . وان أجيز الامتحان فلا تضاف درجته الى المجموع . هذا فى الوقت الذى يستغل فيه أحيانا وقت التربية الدينية لاستكمال تدريس مواد أخرى[11] .

وهذا أمر يترتب عليه انصراف الكثير من التلاميذ عن هضم تلك المواد التى هى الركيزة الأساسية فى بناء الفرد المسلم . لان الاسلام حينما يهتم بتربية الفرد . فانه يعتمد فى ذلك على ما يتيحه للفرد من نصوص فى العقيدة . ومن هدى النبى صلى الله عليه وسلم . ومن خبرات تحيط به . يكتسب من خلالها مواقف فى الحياة تهديه الى أقوم السبل . وتساعده على أن يهضم ثقافته الاسلامية .

والفرد لا يتمكن من النمو نموا حقيقيا الا اذا استطاع أن يواجه البيئة الطبيعية والاجتماعية وأن يتفاعل معهما فى ظل من ثقافته الاسلامية التى اهتدى اليها .

ثانيا ـ كيف تسلل هـذا الغزو الثقـافى الى المدرسة فى المجتمع الاسـلامى ؟

١ ـ **المنظور التاريخى** : ويرجع ذلك الى الاستعمار الغربى . الذى احتل كثيرا من بلاد العالم الاسلامى . وما تعرضت له تلك البلاد من الحروب والغزوات العسكرية .

ومع تخلص الكثير من تلك البـلاد من هذا الغزو العسكرى . الا أنها لم تسلم من الخضوع لغزو أعظم وأشد . وهو الغزو الفكرى . الذى جاء من أبواب متفرقة . وبأساليب مختلفة ؛ والذى ساد معظم بلاد المجتمع الاسلامى .

ولمـا كانت المدرسة هى أخصب مرتع لنشر ذلك الفكر الوافد ؛ فان المناهج قد شحنت وأدخل عليها . أفكار وآراء ؛ وتيارات ملوثة لبثها بين الطلاب والطالبات .

ولقد بدا ذلك واضحا فى كثير من البلاد الاسلامية ؛ ومنها سوريا ومصر وغيرهما ؛ يقول ساطع الحصرى فى تقريره عن مناهج التعليم

---

(١١) محمد عبد القادر أحمد ؛ طرق تعلم التربية الاسلامية . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة . ط ١ ؛ ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

فى سوريا : « ان النظم العديدة التى وضعت فى سوريا فى عهد الانتداب الفرنسى انما وضعت تنفيذا لسياسة مرسومة بوضوح واتقان . ونستطيع أن نقول ان غاية هذه السياسة ، كانت تأمين سيطرة الثقافة الفرنسية والنظم الفرنسية . على معارف البلاد سيطرة مطلقة ، من غير التفات الى ما تتطلبه التربية السليمة والعلم الصحيح »[٢] .

ولم تكن مصر بأفضل حظا من سوريا . فلقد كرس الاستعمار البريطانى حملته الهائجة ضد مناهج التعليم فيها . بل ان الاستعمار البريطانى عمد الى اخراج « القسيس دنلوب » من مجاله الدينى الكهنوتى ليصبح مستشارا لمناهج التعليم ، حتى يتمكن من تجريد الثقافة والمناهج التعليمية من كل شىء يسمى بالاسلام أو التربية الاسلامية[٣] .

وفى هذا الاطار نلمح الدور الذى قام به الاستعمار ، من العبث فى مناهج التربية فى بلاد العالم الاسلامى ، متمثلة فى تنحية القرآن الكريم والتاريخ الاسلامى من مناهج المدرسة الابتدائية ومن هنا تخرجت أجيال مضطربة ، مادية الأغراض ، مزعزعة العقيدة[٤] .

٢ ــ اقحام مفاهيم جديدة على الاسلام : وذلك بادخال أفكار وثقافات بعيدة عن العلوم المادية البحتة ، لأنها علوم تخضع للتجربة المادية . وفرصة التزييف فيها معرضة للفشل ، بالاضافة الى أنها لا تمس المفهوم الاسلامى الصحيح .

من هنا لم يجد الاستعمار الفكرى مناصا من بذر أفكار وثقافات تمس المفاهيم الاسلامية ، بحيث تتهيأ الظروف الملائمة ، والوسائل الكفيلة بمزاحمة المفاهيم الاسلامية لتحل محلها .

وعلى هذا برزت علوم تتصل بحكمة الوجود ونشأته ، ومصير الحياة ومصير الانسان بعد هذه الحياة .. وكلها علوم بعيدة عن التجربة .

---

(٢) محمد أمين المصرى ، المجتمع الاسلامى ، دار الأرقم ، الكويت ، ط(١) ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٣) محمد محمود الصواف ، المخططات الاستعمارية لمكافة الاسلام ، دار الاعتصام القاهرة .

(٤) محمد منير مرسى ، التربية الاسلامية ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٧٧ م .

ويمكن بطريقة أو بأخرى أن تمس العقيدة الاسلامية والمفاهيم الاسلامية التى تدور فى هذا الاطار ..

ووفق هذا الاتجاه دخلت جملة من العلوم : كعلم النفس وعلم الاجتماع . وعلم الأخلاق . وعلم الاقتصاد . وعلم السياسة .. ومن شأن هذه العلوم أنها قادرة على بلبلة فكر الشباب المسلم ؛ وغزو عقله . خصوصا بما استحدثته تلك العلوم . من بعض الحقائق الظاهرة ؛ التى تخضع للتجربة والملاحظة ؛ والتى ليس بمقدور الانسان أن يحرفها عن موضعها الذى وصلت اليه بالبرهان والدليل .

هذا ولم يتورع الغزو الثقافى من اثارة الشبهات حول مفاهيم الاسلام . بل الأدهى وأمر من ذلك أنه شكك فى بعض النصوص المشتملة فى مضمونها على هذه المبادىء وتلك المفاهيم[٥] .

٣ ــ الترويج بأن الثقافة الاسلامية عاجزة عن مسايرة ومواكبة العصر :

وهدف هذه الوسيلة . تنفير الجيل المسلم الناشىء من العلوم والثقافة الاسلامية . بدعوى أنها عقيمة غير منتجة . وبالتالى غير صالحة لمسايرة معارف العصر ومواكبة الثقافة الغازية .

ومن هنا فلقد ناهض هذا الغزو الثقافى المعارف الاسلامية . وأدخل فيها الشبهات . وأثار حولها التعقيدات ؛ فى سبيل محاربة الأنشطة التعليمية الاسلامية . والتى تهدف الى مواجهة كل أنواع الغزو الثقافى المنوث .

وفى هذا الاطار روج الغزو الثقافى . لتفريغ العقول المسلمة من الفهم الاسلامى الصحيح ؛ بغية تقبل ما تمليه تلك الفئة الباغية من فكر وافد ؛ وثقافة ملوثة ؛ تستطيع فرضها على عقول المسلمين .

كما نلمح أن هذا الغزو ، بالغ كثيرا فى الاستهانة والنقد لتاريخ المسلمين ؛ من أجل تثبيت عنصر استهانة الأجيال المسلمة بحضارتها ؛ وفقدان ثقتها فى تاريخها[٦] .

٤ ــ المنح الدراسية : وذلك باستقطاب أعداد كبيرة من المثقفين ؛ عن طريق المنح الدراسية ؛ للحصول على الشهادات الجامعية ؛ وفوق

---

(٥) عبد الرحمن حسن حنبكة ؛ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها ، ط (٢) دار القلم ، دمشق ــ بيروت ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .

(٦) المرجع السابق ؛ ص ٦١٩ ، ٦٢٠

الجامعية . وهذا بدوره يتيح الفرصة أمام الفكر الغازى . حتى يصير دما يسرى فى عروق السواد الأعظم من هؤلاء الدارسين . الذين يتوقع ن يكون البعض منهم أبواقا لهذا الغزو . خصوصا عند من سيدير منهم دفة التعليم فى بلادهم الاسلامية . أو يمتهن التدريس بالمدارس فى تلك المجتمعات .

٥ ــ اغراق المكتبة الاسلامية عامة . ومكتبات المدارس خاصة بالقصص الأجنبية المترجمة .

وهذا أمر مشاهد فى كثير من الكتب القصصية . التى جاءت فى كثير منها خيالية وبعيدة عن الواقع . أو بالأحرى عن الدين . وهذا أمر بقوى لدى الطلاب الارتباط بالمـاديات واهمال الروحانيات تماما .

هذا ولقد اتسمت تلك القصص فى معظمها بالخيال . والبعد عن الواقعية . وتلك نماذج من مسميات تلك القصص مثل قصة : الأمير والضفدع ــ وقصة جعيدان ــ وقصة القدر السحرية ــ وقصة ليلى الحمراء والذئب . ومنها أيضا قصة بياض الثلج والأقزام السبعة ؛ وهذا أمر يندى له الجبين . وترتعش منه الأبدان . وينفطر منه القلب ؛ اذ كيف يمكن أن نقنع الطفل بأن هذه قصص خيالية ؛ وأنها لا صلة لها بالواقع .. !! وهكذا يقع أطفالنا وشبابنا ضحية هذه المجموعات الكبيرة من القصص الخيالية .

وتلك القصص جاءت ضمن سلسلة « ليديبرد بوك ليمتد » وهى سلسلة انجليزية . ترجمت الى العربية . دون أدنى مراجعة أو فحص ، لاستبعاد الغث منها . وما لا يتناسب مع القيم الاسلامية . أو المبادىء التربوية . خصوصا مع تلك البراعم الغضة . والعقول البسيطة ؛ التى يؤثر فيها مثل هذا الاتجاه . ومثل تلك الألوان من الفكر الخيالى ؛ الأمر الذى يترتب عليه الانبهار بالخيالات ؛ والثقة فى الجمادات ؛ وعدم الارتباط بالقيم والروحانيات ؛ ولم يكن ذلك الا نتيجة لتأثير مثل تلك القصص الهدامة .

٦ ــ الانبهار بالتعليم الأجنبى : وذلك بجذب قطـاع كبير من الشباب المسلم الى التعليم فى مدارس أجنبية ؛ تيمنا باعتلاء أرقى الوظائف . وتباهيا بالتعليم ضمن بنية التعليم الأجنبية بفلسفتها ونظمها وأيديولوجيتها .

* * *

ثالثا ــ طرق العلاج :

اذا كانت التربية فى البلاد المتقدمة تكون شخصيات مبدعة ومبتكرة فانها بلا شك خاليه من الروح التى توجه تلك القدرات المبدعة . وتجعلها تلتزم بالابتكارات والاختراعات التى تفيد الانسانية من اجل الخير[٧] .

ومع ذلك فان التربية الاسلامية قادرة على الخروج من دائرة التهمة : بأنها تكون رجالا وشخصيات قادرة على الاختراع والابداع والابتكار .. كما أنها قادرة كذلك على تكوين رجال قادرين على الاتيان بجديد . لديهم روح الابداع والابتكار والاختراع . ولا يقتصرون على الالتزام بالماضى وبما هو موجود .

كما أن التربية الاسلامية قادرة كذلك على تنمية الطبيعة الانسانية وتربيتها وتوجيهها . حتى توجد نوعا من التناسق والترابط بين مكونات الشخصية الاسلامية بصفة متمايزة ومتكاملة وقادرة على الابداع والاختراع . تستطيع صد التيارات الهدامة والغزو الثقافى الموجه .

وهذا بلا شك سيحمى الأجيال المسلمة . من اقتفاء أثر الغزو الثقافى والسير خلفه شبرا بشبر فى جميع المبتكرات والاختراعات التى تغزو بلادنا بشرها وخيرها . وحابلها ونابلها دون تمييز أو حماية للمجتمعات الاسلامية[٨] .

ووقتها يمكن للعقول المسلمة أن تقتنع بأن الاسلام هو دين علم وتقدم وحضارة ، بالاضافة الى أنه دين أخلاق وعقيدة .

هذا ويمكننا أن نحدد أساليب العلاج فى الأمور التالية :

١ ــ اضافة مواد علمية جديدة . تكون أداة من أدوات الدولة الحديثة فى المجتمعات الاسلامية ، وأساسا يقوم عليه امتداد العملية التربوية لتشمل الفكر والمهارات والخبرات المختلفة والمتباينة . وهذا يعنى تدعيم برامج التعليم بمواد ابتكارية وابداعية وتكنولوجية من أجل تكوين الفرد المسلم الحر المبتكر المبدع .

٢ ــ استخدام أحدث الطرق التربوية فى التدريس ، والتخلص من الأنماط التقليدية فى العملية التعليمية .

---

(٧) مقداد يالجن . التربية الابداعية فى ضوء التربية الاسلامية . الفيصل ــ مجلة ثقافية شهرية ــ العدد ٦٨ (صفر سنة ١٤٠٣ هـ ــ ديسمبر سنة ١٩٨٢ م) .

(٨) المرجع السابق .

٣ ــ الاعداد الجيد للمعلم علميا ومهنيا . ونفسيا وخلقيا ودينيا . والتركيز على طرق انتقاء المعلمين . الذين تتوفر لديهم الرغبة الذاتية الأكيدة للعمل فى مهنة التدريس .

٤ ــ اتاحة الفرصة أمام الطلاب والطالبات . وذلك باعطائهم مجالات علمية واسعة ؛ حتى يستطيعوا أن ينتقوا منها الاتجاهات التى يفضلونها . وتتناسب مع قدراتهم وميولهم ورغباتهم .

٥ ــ وضع المناهج وبرامج التعليم . بشكل يضمن الاستغناء عما هو سائد فى مدارس التعليم بالخارج وخصوصا ما يتعلق منها بالفلسفات والأنظمة والايديولوجيات ؛ وهذا حتى نأمن الانبهار بتلك الاتجاهات أو مسايرتها .

٦ ــ تكثيف الجهود الفردية والجماعية . عن طريق المؤسسات التعليمية . ومراكز البحوث العلمية . من أجل كتابة مجموعات ومسلسلات من الكتب والقصص الدينية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ؛ بحيث تكون مشوقة وجذابة تنبثق من اطار الاسلام . وترتبط به من جهة . كما ترتبط بروح العصر ومقدراته من جهة أخرى .

ووقتها نستطيع أن نقول : انه لا خوف على شبابنا أو فتياتنا من الغزو الثقافى حتى ولو ملئت فجاج الأرض فكرا مختلطا أو ثقافة ملوثة . ووقتها تكون المدرسة قد أدت دورها فى مواجهة هذا الغزو الثقافى للمجتمع الاسلامى « **ولينصرن الله من ينصره ، ان الله لقوى عزيز** »(٩) .

* * *

(٩) الحج : ٤٠

الصدق .. وأثره التربوى فى المجتمع المدرسى

مما لا شك فيه أن بناء المدارس . وتشييد المؤسسات التربوية بشتى مراحلها المختلفة هدف رئيسى . تسعى كل المجتمعات — على وجه التقريب — الى تحقيقه .

والهدف الأسمى من بناء تلك المدارس . ليس هو البنية الظاهرية . لكونه للعملية التعليمية . بل يكمن الهدف الرئيسى والأساسى فى تحقيق لمساهمة الفعالة نحو ترسيخ وتدعيم القيم التربوية .

وتقاس استجابة الدول لعوامل التطور والتقدم الحضارى والتكنولوجى بمدى قدرتها على تحقيق الرخاء وبناء الانسان المتكامل نفسيا واجتماعيا وثقافيا وروحيا . ومدى قدرة المدرسة على تطبيق وتحقيق هذا الهدف .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا :

كيف يمكن أن نحكم على نجاح العملية التربوية والتعليمية ؟

ثم ما هو المعيار الصادق لتحقيق هذا النجاح ؟

وأيضا هل يكمن النجاح التربوى فى تخريج أفواج ضخمة من المتعلمين بصرف النظر عن تكوينهم الخلقى الكافى ؟

وبادىء ذى بدء لا أدعى أن بحثا كهذا سوف يكشف الاجابة عن كل هذه التساؤلات !!! فهى دقيقة وعميقة وواسعة . حيث ان المبادىء التربوية تحتوى على الكثير مما لا يتسع له المجال هنا . فهناك الصدق . والأمانة . والاعتدال فى الانفاق . والحشمة . والمحافظة على المرافق .. وغير ذلك الكثير الغزير الذى اتسعت له المبادىء التربوية فى الاسلام .

غير أننا سوف نركز هنا على مبدأ واحد . هو الصدق حيث انه يمثل من وجهة نظرنا حجر الزاوية فى العملية التربوية . بل فى بناء المجتمع ككل .

هذا وسنتناول معالجة هذه القضية على النحو التالى :

أولا : مفهوم الصدق .

ثانيا : الصدق فى القرآن والسنة .

ثالثا : الصدق فى الوسط المدرسى .

رابعا : صور من آثار الكذب المدرسى •
خامسا : أساليب العلاج •

* * *

أولا ــ مفهوم الصدق :

يعرف الصــدق على أنه : « قول الحق . وبأنه القول المطابق للواقع والحقيقة »[1] كما يعرف على أنه « التعبير للحقيقة أيا كان نوع التعبير » بالقول أو بالحركة أو بالاشارة أو بتأليف الكتب . وما الى ذلك . فاذا كان التعبير عن الذات . وجب أن يكون مطابقا لمــا يدور فى النفس . وان كان التعبير عن أمر خارجى . وجب أن يكون مطابقا له دون زيادة أو نقصان . لأن المبالغة والزيادة كذب ؛ والنقصان اجحاف وبخس وهو كذب أيضا[2] •

وأى مجتمع من المجتمعات لن يكفل له الاستقرار والاطمئنان . لا اذا ساد الصدق بين أفراده ؛ وانتشرت معدلات الاخلاص والثقة ؛ فتصاعدت انتاجية المجتمع ؛ ناهيك عن الثقة العالمية والدولية •

ثانيا ــ الصدق فى القرآن الكريم والسنة :

جاء الصدق ومشتقاته فى القرآن الكريم ؛ فى أكثر من مائة وخمسين موضعا . جاء بصيغة الفعل قال تعالى : « **قل صدق الله ، فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** »[3] كما جاء بصيغة اسم الفاعل قال تعــالى : « **واذكر فى الكتاب اسماعيل ، انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا** »[4] وجاء أيضا بصيغة المبالغة . قال تعالى : « **وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام** »[5] كما جاء أيضا بصيغة الاستفهام ؛ قال تعالى : « **قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين** »[6] •

هذا وقد جاء وصف الأنبياء بالصدق فى القرآن الكريم فى أكثر من موضع ؛ فقــد جاء فى شأن ابراهيم عليه الســلام قوله تعالى :

---

(١) عبد الرحمن الميدانى ، الأخلاق الاسلامية وأسسها ؛ دار القلم ، بيروت ــ دمشق ؛ ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م ، جـ ١ ص ٤٧٩

(٢) مقداد يالجن ، الاتجاه الأخــلاقى فى الاســلام ؛ مكتبة الخانجى بالقاهرة ؛ ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م ؛ ص ٢٨٠

(٣) آل عمران : ٩٥ (٤) مريم : ٥٤

(٥) المــائدة : ٧٥ (٦) النمل : ٢٧

« **واذكر فى الكتاب ابراهيم ، انه كان صديقا نبيا** »[٧] وجاء فى شأن دريس عليه السلام قوله تعالى : « **واذكر فى الكتاب ادريس ، انه كان صديقا نبيا ، ورفعناه مكانا عليا** »[٨] . وغير ذلك كثير فى آيات القرآن الكريم .

وهذا وقد وردت أحاديث كثيرة تحث على التمسك بالصدق وتدعو اليه . عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة . وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا . وان الكذب يهدى الى الفجور . وان الفجور يهدى الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا » متفق عليه . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فان صدقا وبينا بورك لهما فى بيعهما . وان كتما وكذبا محقت بركة بيعهما » متفق عليه . وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تحروا الصدق وان رأيتم الهلكة فيه . فان فيه النجاة » . وأحاديث كثيرة أخرى لا يتسع لها المجال هنا .

ثالثا ــ الصدق فى الوسط المدرسى :

لا شك أن توفر الصدق فى جو المدرسة سوف يكون حافزا ايجابيا للعمل . فمدير المدرسة الذى يتوفر لديه الصدق . سوف يقبل على العمل بروح طيبة ينعكس أثرها على أسرة المدرسة بكل من فيها من العاملين سواء منهم المدرسين أو التلاميذ أو الموظفين والاداريين .

وعكس ذلك حينما يسود جو المدرسة الكذب ؛ فان هذا ينعكس على عزوف الكثيرين عن العمل . وانعدام الرغبة أو الميل اليه .

هذا . واذا صح أن المعلم هو حجر الزاوية فى العملية التعليمية . فان عليه تقع تبعة انتشار الصدق فى ربوع المدرسة .

وبمقدار ما يتمتع به المعلم من الصدق ؛ بمقدار الفائدة التى تعود على التلميذ من جهة ؛ وعلى المجتمع ككل من جهة أخرى .

من هنا بات الصدق من أهم الصفات التى يجب توفرها فى المعلم الجيد والتلميذ يقلد أستاذه . ويرى فيه نفسه ؛ ويؤكد فيه ذاته . وكلما اعتمد أسلوب المعلم مع طلابه على الصدق ؛ كلما استطاع غرس تلك الصفة فى الطلاب حتى تصبح خلقا فيهم .

---

(٧) مريم : ٤١ (٨) مريم : ٥٦ ، ٥٧

رابعا ــ صور من آثار الكذب فى المدرسة :

توجد مجموعة من الآثار السلبية للكذب . تنتشر فى الوسط المدرسى ويترتب عليه الكثير من تفشى الصفات السيئة وتعمقها فى نفوس الطلاب . من هذه الآثار :

(أ) الهروب من المواجهة . فالطالب حينما يكلف بواجبات مدرسية أو أعمال فنية لصالح المدرسة سواء داخل الفصل أو خارجه . أو حتى أثناء القيام بالرحلات المدرسية . فانه يميل الى الهروب من المواجهة ولا يستطيع أداء الواجب لذاته . فيلتمس الأعذار بشتى السبل والوسائل مما يغرس فيه الاتكالية والهروب . وأثر هذا فى تكوين الشخصية سيىء وممقوت خصوصا حينما يشب الفرد المتعلم فيجد نفسه سلبيا فى جميع المواقف . ويصبح شخصية تابعة . بل ممتهنة لا يعتمد عليها ولا يوثق بها .

ولم يكن ذلك بهذا الشكل الا نظرا لممارسته الكذب حتى صار صفة متمكنة فى كيانه .

(ب) الاهمال فى أداء العبادات سواء منها الصلاة أو الصيام .. أو غيرهما . صفة سيئة أخرى يمكن أن تتمخض عن الكذب ؛ فاذا سئل الطالب عن أدائه للعبادات أجاب بالاثبات وهو كاذب فى دعواه .

وهذه بلا شك من الصفات الممقوتة التى تمحق البركة من حياة الفرد . ويترتب عليها تفشى صفة الرياء قال تعالى : **« واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا »**[٩١] .

وما لا شك فيه أن هذا الاهمال للعبادة يترتب عليه استمراء الطالب لارتكاب كثير من المخالفات ؛ وقد يجره هذا الى ارتكاب الكثير من المعاصى نظرا لأنها قد أصبحت مألوفة لديه ؛ مستساغة من وجهة نظره وهكذا ..

(جـ) الغياب : وهذا هو بيت الداء بل هو حجر الزاوية فى تفشى صفة الكذب . حيث ان الطالب يكذب على الأسرة حينما يوهمها بالذهاب الى المدرسة . ويكذب على المدرسة حينما يتلمس الأعذار عن أسباب الغياب ؛ وليس الغياب فى حد ذاته هو المشكلة ، بل ما يترتب عليه من ممارسات تجر الى مالا تحمد عقباه .

---

(٩١) النساء : ١٤٢

والظواهر التى ترتبت على الغياب تكمن فى :

شرب الدخان مع جماعة الرفاق . وبطبيعة الحال يصحب ذلك الكثير من المخالفات الأخرى . منها لعب الميسر .. وهكذا تتفشى تلك الأوزار بين جماعة الرفاق حتى تصبح غير قابلة للعلاج .

والمدرسة التى لا تلزم أولياء الامور بضرورة الحضور الى المدرسة وابداء المرئيات حول سلوكيات أبنائهم . انما تكون بذلك قد حادت عن الجادة وقد قصرت تماما نحو تربية أبنائها . وبالتالى نحو المجتمع الذى توجد فيه .

(د) اهمل الواجبات المدرسية : تشيع هذه الصفة بين الطلاب . ويكذبون على المعلمين . ويدعون الكثير من المعاذير . وطالما هم كذلك . فانهم يملأون فراغهم داخل الفصل بأمور أخرى تضر بالصالح العام لمصلحة الطلاب جميعا . من ذلك مثلا : فقد احترام المعلم . وعدم الاكتراث بما يأمرهم به من واجبات . والتهاون فى أدائها . وأيضا يفقد المعلم السيطرة على الطلاب داخل الفصل . بل ربما تتفشى ظاهرة الاهمال حينما يسمح الطلاب تهاون المعلم مع الطلاب المهملين الذين يستخدمون الكذب لهم مخرجا من المواقف الحرجة خصوصا ما يتعلق بالواجبات المدرسية . وهذا فى حد ذاته يؤدى الى التهاون فى التعليم . والتقليل من شأنه فى الوسط الطلابى .

(هـ) الحقد على المجتمع : مما لا شك فيه أن صفة الكذب . تؤدى بالفرد فى النهاية الى الحقد على المجتمع . لأن النتيجة النهائية للطالب الكاذب الفشل فى التعليم . وبالتالى الفشل فى الحياة . ويخرج الى الوسط الاجتماعى مملوءا بالحقد والعدوان والميل الى ارتكاب المخالفات .

خامسا ــ أساليب العلاج :

تكمن أساليب العلاج فى معلم المدرسة . وكيف يمكن أن يتحلى بالصدق حتى يكون خلقا فيه ملازما له .. واتقان المعلم لدرسه وضبطه وسيطرته على الفصل . وحزمه مع التلاميذ وعدم التهاون فى أداء الواجبات ومعرفته بعلم نفس الطفولة والمراهقة : كل هذه جميعا من متطلبات ترسيخ الصدق عند التلاميذ .

ولا شك أن انتقاء المعلمين وحسن اختيارهم ؛ والقدوة الحسنة التى يتمتعون بها . انما يترتب عليها تقليد الطلاب لهم وجعلهم المثل

الأعلى لسلوكهم خصوصا أثناء النشاطات التى يقوم بها المعلمون . والعلاقات الانسانية الصادقة التى تتسم بها الروح الجماعية . فلا يتميز طالب على آخر . الكل أمام المعلم سواء فى المعاملة .. وهكذا .

ولا ندعى أن المعلم وحده هو المسئول عن انتشار صفة الصدق .. ولن كان هو الأساس بل يشاركه مدير المدرسة والعاملون بها .

ولا يمكن أن ننسى الدور الهام للآباء . فهم بلا شك مشاركون فى هذه العملية . وعليهم العبء الأكبر لتربية أبنائهم داخل الأسرة .

من هنا فمسئولية المدرسة والأسرة غدت رئيسية حتى تتمكن من تأصيل الصدق فى نفوس الأطفال والشباب . فيصبح خلقا لهم يتمسكون به مهما كانت النتائج .

ومدارسنا اليوم فى أمس الحاجة أن تتحرى هذا الخلق . وأن ينتشر بين ربوعها الفسيحة . وأن يختفى الكذب من بين شبابها . حينئذ تكون المدرسة حقا قد قامت بدورها فى بناء الفرد المسلم الذى تتوفر لديه مقومات خلقية قويمة .

واذا استطاعت المدرسة أن تؤدى هذا الدور فهى بلا شك ستسهم فى بناء المجتمع . كما أنها ستخلصه من النفاق والمنافقين . الذين استمرأو الكذب حتى صار خلقا فيهم . لأنه يحقق لهم أهدافهم من أيسر وأقصر الطرق . مهما كان هناك من مخالفة ومهما كان هناك من تعارض مع المبادىء والقيم الاسلامية .

والكذب مهما جلب من ثمرة قد تكون سريعة . فان مصيرها فى النهاية الفشل سواء فى الدنيا أو فى الآخرة . ويبقى الصدق دائما صفة المؤمنين الصادقين . يقول الله تبارك وتعالى : **« فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ، أليس فى جهنم مثوى للكافرين . والذى جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون . لهم ما يشاءون عند ربهم ، ذلك جزاء المحسنين »**(١٠) .

* * *

---

(١٠) الزمر : ٣٢ ــ ٣٤

الصيام .. وأهدافه التربوية

* من الأهداف التربوية :

لا جدال فى أن الاسلام استهدف سعادة الانسان فى الدنيا والآخرة . ولقد كان القرآن الكريم بمحتوياته الدستور الذى تضمن كل ما يسعد البشرية . ذلك الكتاب الذى فيه من المبادىء والقيم التربوية ما تقف أمامه العقول حائرة . والأقلام عاجزة عن التصوير . ولا غرو أن نقتطف بعض المبادىء التربوية . حتى نلمح الى أى مدى كانت العبادات — ومنها الصيام — فى الاسلام تسعى الى تنمية تلك المبادىء وصقلها . كما تسعى الى تثبيته وتدعيمها .

* * *

* التربية الروحية والنفسية :

يسعى الاسلام بتعاليمه الى أن يرتفع بالنفس البشرية فوق الصغائر . وينأى بها عن الموبقات والشهوات . ذلك أن النفس لا تذل لشىء ذلها لشهواتها . واستجابتها للانغماس فى المنكرات والموبقات . من هنا كان حرص الاسلام على أن يبين للفرد المسلم نتيجة حب تلك الشهوات . وأنه مهلكة . بينما الاستجابة لداعى الايمان وتقوى الله فيها الخير والنجاة . ويبين الاسلام أن الدنيا فى حد ذاتها وسيلة وليست غاية . ولا يليق بالمسلم أن يتمادى فى الاستجابة لشهواته فتزل قدمه وينحرف عن الصراط المستقيم . قال تعالى : « **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ، ذلك متاع الحياة الدنيا ، والله عنده حسن المآب . قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ، للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله ، والله بصير بالعباد** »[٢] .

واستمرارا فى تهذيب الروح والنفس البشرية ؛ استهدفت العبادات وعلى رأسها الصيام ؛ استهدفت صقل النفس وتربية الروح حتى تشف

---

(٢) آل عمران : ١٤ ، ١٥

وتسمو وتعلو فوق الاستجابة للمعاصى والموبقات . قال تعالى : **« يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياما معدودات »**[٣] .

وقال تعالى . **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، فمن شهد منكم الشهر فليصمه »**[٤] .

وقال تعالى : **« واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »**[٥] .

وتتفق هذه الآيات فى مجملها على أن التقوى والهداية وطلب الرشد ملمح رئيسى . وهدف أسمى من وراء عبادة الصيام . وطالما تحققت التقوى والرشد والهداية . فان النفس البشرية والروح الانسانية . تصبح فى مأمن من الوقوع فى مزالق العصيان .

يقول الامام البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام »** الآية .

« كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم » يعنى الأنبياء والأمم من لدن آدم عليه السلام ؛ وفيه توكيد للحكم وترغيب على الفعل . وتطييب على النفس . والصوم فى اللغة الامساك عما تنزع اليه النفس وفى الشرع الامساك عن المفطرات بياض النهار فانها معظم ما تشتهيه الأنفس . لعلكم تتقون المعصى . فان الصوم يكسر الشهوة التى هى مبدؤها[٦] .

وفى قوله تعالى : **« شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن »** الآية . يذكر الامام البيضاوى أن المراد بالشهر أنه « من الشهرة . ورمضان مصدر رمض أى احترق فأضيف اليه الشهر .. وانما سموا بذلك اما لارتماضهم من حر الجوع والعطش أو لارتماض الذنوب فيه أو لوقوعه أيام رمد الحر **« الذى أنزل فيه القرآن »** أى ابتدأ انزاله وكان ذلك ليلة القدر .. هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان . حالان من القرآن . أى أنزل وهو هداية للناس باعجازه . وآيات

---

(٣) البقرة : ١٨٣ ، ١٨٤ (٤) البقرة : ١٨٥

(٥) البقرة : ١٨٦

(٦) الامام ناصر الدين ابو الخير عبد الله بن عمر الشيرازى . أنوار التنزيل وأسرار التأويل — المسمى تفسير البيضاوى — دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — بدون تاريخ — ص ٣٨

وضحات مما يهدى الى الحق . ويفرق بينه وبين الباطل . بما فيه من الحكم والاحكام . « **فمن شهد منكم الشهر فليصمه** » فمن حضر فى شهر ولم يكن مسافرا فليصم فيه . والأصل فمن شهد فيه فليصم ؛ .

وفى قوله تعالى : « **واذا سالك عبادى عنى فانى قريب** » الآية . يذكر أيضا البيضاوى : « **واذا سالك عبادى عنى فانى قريب** » : ى فقل لهم انى قريب . وهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم بحال من قرب مكانه منهم . روى أن اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه ؟ فنزلت : « **أجيب دعوة الداع اذا دعان** » بشير للقرب ووعد لمداعى بالاجابة . « **فليستجيبوا لى** » اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما أجيبهم اذا دعونى لمهماتهم . « **وليؤمنوا بى** » أمر بالثبات والمداومة عليه . « **لعلهم يرشدون** » ، راجين اصابة الرشد . وهو اصابة الحق .. واعلم أنه تعالى لما أمرهم بصوم الشهر ومراعاة العدة ؛ وحثهم على القيام بوظائف التكبير والتسكر عقبه بهذه الآية الدالة على أنه تعالى خبير بأحوالهم . سميع لأقوالهم . مجيب لدعائهم ؛ مجازيهم على أعمالهم . تأكيدا له وحثا عليه »[٧] .

واذا كانت تلك الآيات تؤكد على التقوى وطلب الهداية والرشد من أجل تربية النفس وصقلها . اذا كان ذلك كذلك فاننا نلمح أن الأحاديث النبوية بينت هذا ووضحته كذلك . فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به ؛ والصيام جنة — أى وقاية من النار أو المعاصى — فاذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ؛ فان سابه أحد أو قاتله ؛ فليقل : انى امرؤ صائم ؛ والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . للصائم فرحتان يفرحهما : اذا فطر فرح بفطره ؛ واذا لقى ربه فرح بصومه » متفق عليه .

وعن سهل بن سعد رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان فى الجنة بابا يقال له : الريان . يدخل منه الصائمون يوم القيامة . لا يدخل منه أحد غيرهم . يقال أين الصائمون ؟ فيقومون .

---

(٧) المرجع السابق . ص ٣٩

لا يدخل منه أحد غيرهم . فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد ، متفق عليه • ولا شك أن تلك المنزلة وتلك المكانة فى الدار الآخرة . انما تنال بالصائمين لم تكن لتتحقق لولا أن زكت انفسهم وتطهرت أرواحهم بالصوم •

* * *

*** التربية الجسمية والبدنية :**

من المبادىء التربوية التى يسعى الاسلام الى تحقيقها : المحافظة على الجسم وصيانة البدن من كل ما يوقعه فريسة للأمراض . فضلا عن التهلكة • والاسلام حين يقرر ذلك . يهدف أن يتمكن الفرد المسلم من تأدية رسالته فى هذه الحياة . وحتى حينما يمارس المسلم عبادة الصيام . يسقط الله سبحانه عنه اتيانها وقت المرض . حتى يتم برؤه . ويقوى بدنه • قال تعالى : « **فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر** » يقول البيضاوى فى تفسير تلك الآية : « **فمن كان منكم مريضا** » يضره الصوم ويعسر معه ؛ « **أو على سفر** » أو راكب سفر « **فعدة من أيام أخر** » أى فعليه صوم عدة أيام المرض ؛ أو السفر من أيام أخر اذا أفطر »[٨] • وفى قوله تعالى : « **يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر** » أى يريد أن ييسر عليكم ولا يعسر ؛ فلذلك أباح الفطر فى السفر والمرض »[٩] •

من هنا فلم يكن الاسلام دينا يستهدف تعذيب الانسان وارهاق بدنه لم يكلفه الا فى حدود ما تمكنه امكانياته وقدراته • قال تعالى : « **ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم** »[١٠] ونهى الاسلام عن المبالغة فى العبادة لدرجة يهزل معها الجسم ويضعف معها البدن ؛ فلا تفريط ولا افراط ؛ وانما وسط واعتدال ، وقصد وتنظيم •

من هنا أباح الاسلام للفرد المسلم أن يتناول من الطعام والشراب من وقت المغرب حتى يظهر بياض النهار من سواد الليل • وهذا فى حد ذاته اقرار للمسلم أن يتناول من الطعام ما يحفظ عليه بدنه ويصون له ذاته • بيد أن هذا يتم فى ضوء النظام الدقيق المحكم ، ووفق مواعيد ثابتة ، لا يحيد عنها المسلم ؛ فيها تعليم وتهذيب ، ودروس تربوية عملية ،

---

(٨) المرجع السابق ، ص ٣٨ (٩) المرجع السابق ؛ ص ٣٩

(١٠) النساء : ١٤٧

يتمرس عليها المسلم حتى تصبح لصيقة به . يعيشها ويعايشها . يمارسها فى أيامه العادية من العام ولا تنزلق قدمه . فيأكل ويشرب بدون وعى وبدون حساب . وأيضا عليه أن يتذكر بالجوع الشعور نحو بنى جنسه من البشر ومن المسلمين . حتى يساهم بما يسعدهم ويحفظ عليهم حياتهم . يقول الامام البيضاوى فى تفسير قوله تعالى : « **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر** » : شبه أول ما يبدو من الفجر المعترض فى الأفق وما يمتد معه من غبش الليل . بخيطين أبيض وأسود . واكتفى ببيان الخيط الأسود لدلالته عليه ..[11] .

واذا كان القرآن بهذه الدقة الكاملة الشاملة . يصون للمسلم ذاته وكيانه . فان السنة النبوية أيضا أكدت وفصلت الكثير حول هذا . وأشار النبى صلى الله عليه وسلم فى أكثر من حديث الى أن المبالغة فى العبادة . ومحاولة تطويع أعضاء البدن لغير ما أعدت له . انما فيه قهر للطبيعة الانسانية . وتنطع فى الدين يأباه الاسلام . لأنه خروج على مفهوم مكونات الانسان . ومفهوم الوظائف البدنية . عن أنس رضى الله عنه قال : جاء ثلاث رهط الى بيوت أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، يسألون عن عبادة النبى صلى الله عليه وسلم . فلما أخبروا كأنهم تقالوها — عدوها قليلة — وقالوا : وأين نحن من النبى صلى الله عليه وسلم . قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبدا . وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر . وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا . فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله انى لأخشاكم لله وأتقاكم له . ولكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء . فمن رغب عن سنتى فليس منى » متفق عليه .

وعن أنس رضى الله عنه قال : دخل النبى صلى الله عليه وسلم المسجد فاذا حبل ممدود بين الساريتين — عمودين — فقال : « ما هذا الحبل » ؟ قالوا : هذا حبل لزينب ، فاذا فترت — كسلت عن القيام للصلاة — تعلقت به . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « حلوه ، ليصل أحدكم نشاطه ، فاذا فتر فليرقد » متفق عليه .

---

(١١) المرجع السابق — والآية من سورة البقرة : ١٨٧

وهكذا يتضح أن انقياد الانسان للعبادة طاعة لله . محمول على التنسيق بين تحقيق العبودية لله رب العالمين . واتزان الجسم ونشاطه . حتى يقوى على معاودة العبادة والتزامها .

* * *

*** التربية الخلقية :**

وبلا أدنى شك . فالصيام يهذب الخلق . ويبعث فى النفس حب الانفاق . والعطف على الفقراء والمعوذين . ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم جوادا وكان أجود ما يكون فى رمضان . عن أنس رضى الله عنه . أن النبى صلى الله عليه وسلم جاء الى سعد بن عبادة رضى الله عنه . فجاء بخبز وزيت فأكل . ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم : « أفطر عندكم الصائمون . وأكل طعامكم الأبرار وصلت عليكم الملائكة » رواه أبو داوود باسناد صحيح . وعن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه . عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من فطر صائما كان له مثل أجره . غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شىء » رواه الترمذى وقال : حديث حسن صحيح .

وتدريب النفس على الانفاق ، وتعودها عليه . يصبح بعد فترة خلقا للانسان وسمة من سماته . يلتزم بها ويحافظ عليها . خصوصا اذا ذاق حلاوة الانفاق فى سبيل الله وأدرك قيمته فى الدنيا وعاقبته فى الآخرة . قال تعالى : « **الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون** »(١٢) .

* * *

*** التطبيق التربوى :**

الصوم ينفرد من بين سائر العبادات ، بتساميه عن تحديد وتقدير جزائه عند الله رب العالمين ، وعبادة هذا شأنها ، وتلك منزلتها ، لا شك أنها الوحيدة التى يبرز فيها الصراع والكفاح من الانسان الى شىء يتعلق بذات الانسان ، لأن الصائم يجاهد ويكافح الهوى والشهوة ، لينتصر لايمانه بربه ، وليكبح جماح الالف والعادة التى تلازمه فى

---

(١٢) البقرة : ٢٦٢

حياته اليومية . فينتصر بارادته . ويحيى ضميره . ويخضع رغبات بدنه وروحه . فيصير صاحب الأمر عليه . بدلا من أن يكون مستسلما ذليلا لهـا .

والمسلم تتنازعه قوتان : دعوة الشهوة . ودعوة الرحمن . فبينما الاولى تستهويه ليلبى نداءها . ويستجيب لمطالبها . فان الثانية تناديه أن يكف عن تلبية رغبات النفس وشهوات الجسم . ويطيع الله رب العالمين . فيدع طعامه وشرابه وشهوته طاعة لله . عندئذ يصبح خليق باكرام الله له مستحقا لمثوبته وجزائه العظيم . بعد أن أتى بهذا العمل الشاق . وانتصر لنفسه من ذاته وسيطر عليها . وأيقظ فيها الضمير . فيصبح انسانا مراقبا لأعماله . متمسكا بقيمه ومبادئه ، مجتنبا لليأس والاخفاق عند المحن والكروب . كاظما غيظه حينما يكون كظم الغيظ حكمة . صابرا ومتحملا فى سبيل تحصيل رزقه ضاربا بأخلاقه المثل الأعلى فى محبة خوانه ، لأنه لا يستطيع أن يعيش وحده . انما هو مرتبط بمجتمع ومرتبط بآخرين يشاركونه الحياة والعمل والمنافسة . فلا مندوحة له من استثمار درس الصيام ، وما خرج به منه من تعلم للصبر ورقابة على النفس وحسن العلاقات مع الآخرين .

وبهذا تؤهل نفس المسلم وتصبح مستعدة لقبول ما تفرضه الحياة من حرمان . وما تحدثه من أزمات . كما أن نفس الغنى تصبح مقبلة على مساعدة المحروم ، والأخذ بيد المريض والعاجز .. وبهذا يلتئم جدع المجتمع ، بحيث يتميز عن غيره من المجتمعات غير المسلمة . لأن الصيام قد أعد للمجتمع تماسكه . وللأفراد ترابطهم .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الصيام لا ينبغى أن يكون سببا لنفرة الأفراد بعضهم من بعض . أو محركا للخلاف والشقاق . أو داعيا لاهمال العمل أو التراخى فيه ، أو التستر خلفه دفعا للوم أو تبرير لاهمال . أو تواكلا عن عمل فالصيام فيه وحدة القلوب والمشاعر . ولا مكان فيه لتبرير مهمل . أو اعتذار مقصر ، أو تمزيق لألفة . بل عكس ذلك يكون . تلاق وتصاف . وتماسك وترابط تحت مظلة التوحيد وتلبية لنداء الله رب العالمين .

ولا شك أن المجتمع المتمسك بأداء الصوم . هو المجتمع الذى يمتثل أوامر الله . ويلبى دعوته ونداءه . هو المجتمع الذى يشيع فيه العدل والسلام والأخوة والتعاون فيتسامى الى مستوى أرفع فى

الانسانية . وهو المستوى المهذب الصافى الطاهر البعيد عن الحقد والايذاء . والفرد الصائم هو الانسان الصالح الذى يؤثر انسانيته على ما فيه من حيوانيته . فيدفع بصومه قوة اعتدائه على نفسه ويتهيأ لعدم الاستسلام للشر أيا كان مصدره . لأنه طالما امتثل لله . فهو لا يرضخ لما عداه من قوى الطغيان والفساد[١٣] .

وعلى وجه العموم . فان الانسجام فى الطابع العام للمجتمع ؛ ووحدة الشعور والروابط والاتجاه هى سمات المجتمع المسلم الصائم . الذى استطاع السيطرة على رغبات النفس ؛ وتحكم فيها بالقدر الذى يحد من متطلباتها وأغراضها . ومجتمع هذا شأنه ليس فى حاجة الى ان يراقب بعض أفراده بعضه الآخر فى أداء الواجب ؛ كما أنه ليس فى حاجة الى الشحناء والمخاصمة والتقاضى ؛ لأنه يفعل بوحى من ضميره ووحى ضميره هو ما يخشى فيه الله سبحانه وتعالى . كما أنه أمر من الله . قال تعالى : **« وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله »**[١٤] .

بهذه الصفات التربوية . نصل الى أن عبادة الصوم ؛ تكمن فيها الرحمة والبر والتكافل الاجتماعى بين جميع أفراد المجتمع . يشملهم جميعا العدل السماوى ، والتنظيم المحكم الدقيق الذى يتسم بالمحبة والخير والسلام .

* * *

---

(١٣) د. محمد على محمد المرصفى ، من المبادىء التربوية فى الاسلام ، مرجع سابق . ص ١٣١ — ١٣٤ (١٤) الأنعام : ١٥٣

رؤية تربوية فى شهر الصيام

تشهد التربية فى عالمنـــا العربى والاسلامى فى الآونة الأخـــيرة اضطرابا منقطع النظير . حيث بات اهتمام التعليم يقتصر على حشو ذهن المتعلمين بكم ضخم من المعلومات فى سائر مجالات العلوم والفنون . وغدت التربية بمفهومها الصحيح غير واضحة • وتتضح هذه الصورة حينما نلمح أن المغزى التربوى لبناء الفرد فى جميع النواحى الجسمية والعقلية والخلقية والنفسية والجمالية غير محقق بالشكل المـــأمول •

وان كنا لن نتناول فى هذا المقام أسباب هذه الظاهرة . الا أننا نسير فى عجالة سريعة الى ملمح يكاد يكون ظاهرا لكل ذى بصيرة . ذلك أن التربية فى كثير من بلاد المسلمين اعتمدت فى بنائها على كثير من الفكر الوافد . برز أثره واضحا فى عدم وفاء التعليم لتحقيق الكثير من أهدافه . خصوصا اذا أدركنا أن تلك الأهداف لا تتوافق — فى غالبيتها — مع المنهج الاســـلامى •

من هنـــا فلا مناص من وقوع المتعلمين فى ذبذبات بين واقع يعايشونه فى المدرسة وبين قيم اسلامية تعتمد على الفكر الاسلامى والمنهج الاسلامى ينشد المجتمع تحقيقها فيهم . ولا جدال أنه لو صلح المنطلق الذى تســـتمد منه التربية بنيتهـــا لصلح التطبيق التربوى . ولاستقام بالتالى النظام التعليمى • واذا اتضح لدينا أن منطلق التعليم الحالى يشتق — فى كثير منه — من فكر سياسى أو اقتصادى أو ثقافى أو كلها مجتمعة . اذا اتضح ذلك . فقد بدت النتائج التربوية المنشودة متحطمة فوق صخرة التقليد . وتحت مظلة الأنظمة الجامدة فى التعليم •

والفرد المسلم فى عصرنا بات لا هم له سوى الشكليات دون العمق . والمظهر دون المخبر . خصوصا وأن بنية تكوينه اعتمدت فقط على منهج يحفظ ، وكلمة تكتب ، ضاربا عرض الحائط بالقيم الأخلاقية الصحيحة . والمغزى التربوى لعبادات المكلف بها من لدن رب العبـــاد سبحانه وتعـــالى •

بيد أننا لو عدنا الى الاسلام . فسوف نلمح أن سائر العبادات — ومنها الصيام — تعتمد على ركيزة واضحة ، هى عدم الشرك بالله رب العـــالمين •

ولكن كيف كان ذلك .. ؟ اذا نقى الضمـــير عند الفرد معلما أو متعلما . اذا نقى من أوشاب الشرك فى جميع صوره ، واذا تطهـر القلب من أوشاب الخرافة . واذا تخلص المجتمع من تقاليد الجاهلية . واذا تطهرت الحياة من عبودية العباد للعباد ، اذا توفر ذلك ، حينئذ يكون ارتباط الفرد المسلم بربه وعلاقته به على بصيرة .

ثم تأتى علاقة الجماعات والأفراد . مقاسة بهذا المعيار الثابت ـ عدم الاشراك بالله ـ الذى نرجع اليه فى كافة الروابط ، ومقاسة كذلك بالقيم الاسلامية التى شأنها أنها تحكم الحياة البشرية ، فلا تظل نهبا لريح الشـــهوات والنزوات ، واصطلاحات البشر التى تتراوح مع النزوات والشهوات[1] .

هذا واذا كنا فى مجتمعنا الاسلامى ننشد الصلاح والاصلاح ، واذا تخلصنا من الشكلية والمظهر فى الممارسات الدينية . وخصوصا التى ترتبط ارتباطا مباشرا بقياس قدرات الفرد النفسية والخلقية ، اذا استطعنا ذلك ، فلا مراء فى أننا نكون قد ترجمنا المبادىء الدينية الى واقع تربوى نحسه ونلمسه ، فى جميع الجوانب والاتجاهات .

وعبادة الصيام تنفرد من بين سائر العبادات بكونها كفاحا وجهادا موجها من الذات ضد الذات . وموجها من نفس الانسان ضد رغبات جسمه وبدنه . عن أبى هريرة رضى الله عنه عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف ، قال الله عز وجل : الا الصوم فانه لى وأنا أجزى به . يدع شهوته وطعامه من أجلى »[2] .

وربما لا نجانب الصواب حينما نقرر بداية ، أن فريضة الصيام تحقق رؤية تربوية . لا تتوفر فى أى منهج وضعى ، مهما سمت مكانته ، ومهما اتسع مداه ، ذلك أن الصيام بشكله ومضمونه ، يرشدنا الى مجموعة من الأسس التربوية التى سوف نجليها على الوجه التالى :

أولا : التربية الصحية .

ثانيا : التربية النفسية .

---

(١) سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، دار الشروق ، ط (١٠) ، ١٩٨١ ، جـ ٣ ، ص ١٢٢٩ ، ١٢٣٠

(٢) د. محمد على المرصفى ، من المبادىء التربوية فى الاســـلام . عالم المعرفة ، جدة ، ١٤٠٣ هـ ، ص ١٣١

ثالثا : التربية الخلقية .
رابعا : التربية الروحية .

* * *

أولا ــ التربية الصحية :

الصوم فى الاسلام فيه جهد مثمر ومنظم . لترقية الطبيعة البشرية وتطويرها ، فى حدود فطرتها وطاقتها وطبيعة تكوينها ، أو بمعنى آخر يعتبر الصوم منهجا اسلاميا للتربية . فيه من النماء ما يتوافق وحاجة الانسان ، خصوصا وأن هذا المنهج مصدره خالق السموات والأرض : **« ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »**[٣] وتتضح هذه الصورة فى أن آيات الصيام ، تقرر للمؤمنين وتحل لهم مباشرة النساء فى ليلة الصوم ما بين المغرب والفجر . وتحل لهم الطعام فى نفس الوقت كما تبين حكم المباشرة فى فترة الاعتكاف فى المساجد . قال تعالى : **« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم ، هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ، علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل ، ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون »**[٤] .

وقد نزلت هذه الآية ، بعد أن شق على المسلمين أن يلتزموا التطبيق العملى للصوم فى شكل أحكامه الأولى . التى كانت تحتم على المسلم اذا نام بعد افطاره أن يمتنع عن الطعام والشراب ومباشرة النساء ، حتى ولو استيقظ قبل الفجر ، كما شق على المسلمين ذلك . فدلهم الله الى اليسر ، ليشعروا بقيمته ، ومدى الرحمة والاستجابة .

وتيسيرا على الفرد المسلم ، واعترافا ببشريته وطبيعته الانسانية ، فى عدم كبت حاجاته وشهواته ، واستجلابا لتنشيطه حتى يقوى على العبادة ، استجلابا لكل ذلك أباح الاسلام المباشرة للنساء ، ما بين المغرب والفجر : **« أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم »** والرفث قد يكون مقدمات المباشرة ، أو المباشرة نفسها ، وكلاهما مقصود

---

(٣) الملك : ١٤ (٤) البقرة : ١٨٧

هن ومباح . غير أن تلك العلاقة الزوجية ؛ دافعها الرفق والرحمة : « **هن لباس لكم وانتم لباس لهن** » فالصلة بين الزوجين تستر كلا منهما وتقيه . فالاسلام ينظر للفرد المسلم بشكل شمولى . من ظاهره وباطنه . ولا يكبت له رغبة . ولا يحبط له ارادة طالما كان دافعها صيانة الفرج وحفظه بالحلال المشروع .

ويتضح منهج الاسلام فى النظر الى الانسان بشكل شمولى . فى كونه يتحسس انزعبات المكبوتة . خصوصا عندما نعلم انه قد ورد أن بعض المسلمين قد وقع فيه . على مفهوم الصيام فى سورته الأولى . حيث ورد ان بعضهم قد نام بعد الافطار . او نامت امرأته . ثم وجد فى نفسه دفعة للمباشرة ففعل . وبلغ امره الى النبى صلى الله عليه وسلم . وبدت المشقة فى أخذ المسلمين بهذا التكليف . فردهم الله الى اليسر .. ونزلت هذه الاية : « **أحل لكم ليلة الصيام** » . بعد أن ظهر الضعف وبدت ظواهره : « **علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم** » . ابتغوا هذا الذى كتبه الله لكم من المتعة بالنساء . ومن المتعة بالذرية — ثمرة المباشرة — فكلتاهما من أمر الله . ومن المتاع الذى أعطاكم اياه . ومن اباحتها واتاحتها يباح لكم طلبها وابتغاؤها . وهى موصولة بالله فهى من عطاياه ؛ ومن ورائها حكمة . ولها فى حسابه غاية . فليست اذن مجرد اندفاع حيوانى موصول بالجسد . منفصل عن ذلك الأفق الاعلى الذى يتجه اليه كل نشاط .

بهذا ترتبط المباشرة بين الزوجين بغاية أكبر منهما . وأفق أرفع من الأرض ومن لحظة اللذة بينهم . وبهذا تنظف هذه العلاقة وترق وترقى .. »[٥] .

وليس بعد هذا تكريم لانسان . وتربية صحية له . تراعى فيها الحاجات . وتنشط الهمم . وتسقط دوافع الاحباط . فلا رهبانية فى الاسلام . ولا كبت فيه لحاجة فيها صلاح للبدن وتنشيط للعبادة . وتربية للفرد المسلم .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاسلام وهو يتيح للمسلم هذه الامكانيات يراعى مصلحة الفرد ويضعه فوق كل اعتبار .

---

(٥) سيد قطب . فى ظلال القرآن . مرجع سابق . ج ١ ص ١٧٤ ، ١٧٥

وتبدو هذه الصورة واضحة فى مجموعة من الاجراءات :

*** النهى عن الكلفة والمشقة :**

حيث نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن الوصال فى الصيام . رحمة بالمسلم واشفاقا عليه . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اياكم والوصال » قالوا : فانك تواصل يا رسول الله . قال : « انى لست كأحدكم . انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى . فاكلفوا من الأعمال ما تطيقون »(٦) .

*** اباحة الفطر لذوى الأعذار :**

وتتضح هذه الصورة حينما يباح للمريض والمرضع والحمل .. الافطار شريطة أن يؤدوا الصيام بدلا من الأيام التى أفطروا فيها .

*** تحقيق التوازن بالصيام :**

يتضح ذلك حين نعلم ان المسلم له أن يتناول طعامه وشرابه باتزان ؛ قال تعالى : « **يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين** »(٧) .

* * *

ثانيا ــ التربية النفسية :

لما كان الصيام قد تبدو فى ظاهره المشقة والقهر للشهوات والحاجات ؛ كان لابد للفرد المسلم من عوض كامل عن مشقة الصوم . قد بدا ذلك فى استجابة الله لدعائه . قال تعالى : « **واذا سألك عبادى عنى فانى قريب ، أجيب دعوة الداع اذا دعان ، فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** »(٨) . وقد أجاب الله عز وجل عباده عن سؤالهم ؛ حيث قال تعالى مخاطبا النبى صلى الله عليه وسلم : « **انى قريب** » ولم يقل ربنا سبحانه وتعالى : أسمع الدعاء . وانما عجل باجابة الدعاء : « **أجيب دعوة الداع اذا دعان** » فى ظل هذا الأنس وهذا القرب ، يوجه الله عباده الى الاستجابة له . والايمان به . لعل هذا أن يقودهم

---

(٦) صحيح مسلم شرح النووى . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع . ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م . جـ ٧ . ص ٢١٢ - ٢١٣

(٧) الأعراف : ٣١ (٨) البقرة : ١٨٦

الى الرشد والهداية والصلاح : « **فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشـــدون** » وتفيد الآية ان ثمرة الاخيرة من الاستجابة والايمان هى لهم حدث .. وهى الرشد والهدى والصلاح . الله غنى عن العالمين . واستجابة الله للعباد مرجوة حين يستجيبون له وهم يرشدون »[٩] .

من هذا المنطلق فلا غرابة ان يأتى ذكر الدعاء فى ثنايا الحديث عن الصيام . حتى تستنار الهمم وتنشحذ العزائم . وان كانت العبادة فى شأنها شأنه فهى من الأمور التعبدية .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ثلاثة لا ترد دعوتهم : الامام العدل . والصائم حتى يفطر . ودعوة المظلوم يرفعها الله دون الغمام يوم القيامه . وتفتح لها ابواب السماء . ويقول : بعزتى لانصرنك ولو بعد حين » .

ولمـــا كان مفهوم التربيه النفسية . يعتمد فى اساسه على تحقيق التوازن لبناء الشخصيه السوية التى تتوافق بداخلها الأهداف . فلا يطغى احدها على الاخر . لمـــا كان ذلك كذلك . اتضح لدينا ان الصيام يقوم بأداء هذه التربيه بصورة كاملة متكاملة . حيث ان الفرد المسلم — وهو يؤدى فريضة الصوم — يوقن تمام اليقين أن ربه الذى كلفه وفرض عليه الصوم . يشد من أزره . ويأخذ بيده . ويحفق له هدفه طالمـــا أنها فى غير معصية . وفى صحيح مسلم . عن النبى صلى الله عليه وسلم . أنه قال : « لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم او قطيعه رحم ما لم يستعجل » . قيل : يا رسول الله .. وما الاستعجال ؟ قال : « يقول قد دعوت . وقد دعوت . فلم أر يستجاب لى . فينحسر عند ذلك ويدع الدعاء »[١٠] .

* * *

ثالثا — التربية الخلقية :

ترتبط الأخلاق فى الجانب الأكبر منها . ارتباطا جوهريا بالدين وبمبادئه . وبالقيم والفضائل التى قام عليها الدين واستند اليها ؛ ونادى بها . من هنا يمكن القول بأن القيم والقواعد والفضائل الخلقية . فى مجتمع متدين . هى قيم وقواعد وفضائل دينية . حتى حينما يكون مصدر الأخلاق أحيانا التجربة الشخصية وتوقعات المجتمع وتأثيراته

---

(٩) سيد قطب . فى ظلال القرآن . مرجع سابق . جـ ١ ص ١٧٣

(١٠) المرجع السابق ؛ ص ١٧٣ : ١٧٤

وسلطة القانون والعرف والتقاليد ، فانه لا يعتد بهذه الأخلاق الا اذا كانت متمشية مع الدين . مما يجعل المصدر النهائى فى الحكم على السلوك البشرى سواء بالخيرية أو الشرية هو الدين .

وحينما يصبح الدين مصدرا للأخلاق . فان هذا يكسبها شيئا من الاحترام والتقدير والموضوعية والثبات النسبى . وأمر طبيعى أن لا يتوفر هذا فى الأخلاق التى مصدرها القوانين الوضعية[١١] .

هذا ولما كان من شروط الأخلاق الصالحة : الشمول والتوازن والاعتدال والوقعية واليسر والربط بين الاعتقاد والعمل ، وبين القول والفعل . وبين النظرية والتطبيق ، لما كان الأمر كذلك ، فلا غرابة أن تحتل التربية الأخلاقية مساحة لا بأس بها فى فريضة الصيام نلمح هذا فى الآتى :

*** الالتزام بالطاعة وعدم الاعتداء أو سب المسلمين :**

يتضح هذا حيث ان الصائم عليه أن يلتزم الطاعة وقت صومه . فلا يسب أحدا من المسلمين . فقد قال صلى الله عليه وسلم : « اذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فان سابه أحد أو قاتله فليقل انى صائم » .

*** تطويع النفس لممارسة الخلق الحسن :**

ويمكن تحقيق هذا الهدف حينما تتمرس النفس على كسر الشهوات . فتتصاع فيحصل لها اعتياد والف للاتيان بالجميل ، قال صلى الله عليه وسلم : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه » .

*** التزام صفة الكرم :**

ولا شك أن هذه الصفة . اذا سادت المجتمع . فان فئة الفقراء والمساكين ، تحصل على ما تحتاجه ، وتنال ما ترجوه من العيش دون ما تمسكن أو مسألة . ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم كريما جوادا وكان كرمه يزداد فى شهر الصيام .

* * *

---

(١١) محمد على المرصفى . حسن عبد العال ، فى اصول التربية ، مطبعة التقدم ، طنطا . ١٩٨٥ ، ص ١٤٨

رابعا ـ التربية الروحية :

اقترنت فريضة الصيام فى مفتتح الآيات التى تتحدث عنها بالتقوى . كما اختتمت أيضا بالتقوى . وهذا يؤكد ويدلل أن رجاء التقوى من العباد هدف روحى . ومغزى جوهرى . تسعى العبادات كلها الى تحقيقه ومنها الصيام . فاذا تهذبت الروح . واذا تحققت التقوى . فقد امتلك المسلم زمام تصرفاته وأصبح على بصيرة من أمره . قال تعالى : **« يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »**[١٢] .

وقوله تعالى : **« ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد ، تلك حدود الله فلا تقربوها ، كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون »**[١٣] .

« فالتقوى هى التى تستيقظ فى القلوب وهى تؤدى هذه الفريضة ، طاعة لله . وايثارا لرضاه . والتقوى هى التى تحرس هذه القلوب من افساد الصوم بالمعصية . ولو تلك التى تهجس فى البال ، والمخاطبون بهذا القرآن يعلمون مقام التقوى عند الله ووزنها فى ميزانه . فهى غاية تتطلع اليها أرواحهم .. وهذا الصوم أداة من أدواتها . وطريق موصل اليها .. ومن ثم يرفعها السياق أمام عيونهم هدفا وضيئا يتجهون اليه عن طريق الصيام »[١٤] . وكما بدئت آيات الصيام بالتقوى اختتمت بالتقوى : **« كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون »** وبهذا يبين أن التقوى غاية . يبين الله آياته للناس ليبلغوها . وهى غاية كبيرة يدرك قيمتها الذين آمنوا وهم المخاطبون بهذا القرآن فى كل حين[١٥] .

* * *

* خلاصة :

من العرض السابق يتضح أن الصيام فى هذا العصر . وفى كل عصر . ضرورة ملحة . بل ومعسكر ترويضى . يخرج منه الفرد المسلم وقد سمت نفسه . وشفت روحه . واستقامت صحته . وانتظمت أخلاقه ، فلا افراط ولا تفريط . ولا غلو ولا تهاون . بل وسط واعتدال وتناسق

---

(١٢) البقرة : ١٨٣ (١٣) البقرة : ١٨٧

(١٤) سيد قطب . فى ظلال القرآن ، مرجع سابق . جـ ١ ص ١٦٨

(١٥) المرجع السابق ، ص ١٧٦

واتزان فى جميع المجالات ، ما يرتبط منها بالدين ، وما يرتبط منهـا بالسلوك . ما يرتبط منها بالنظر وما يرتبط منها بالعمل : « **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** »[١٦] ، « **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنـون** »[١٧] .

* * *

(١٦) المطففين : ٢٦ (١٧) التوبة : ١٠٥

obeikan.com